

نبع



ستالين

تحت راية أكتوبر إلى النصر

ترجمة

نضال الحديدي ومحمد علي العربي

القيروان، أكتوبر 2019

ربيع النشر البلشفي العربي

المحتويات

تروتسكية أم لينينية

خطاب في الجلسة العامّة للكتلة الشّيوعيّة في المجلس المركزي للنقابات الروسيّة،
19 نوفمبر 1924

إنّ هذا المطلوب لهو أصعب على المرء من تقديم الدّليل على بطولته خلال بضعة أيام، دون أن يترك مكانه التّقليدي، دون أن يشرع بالحملة، مكتفيا بهبّة انتفاض ضدّ رومانوف الوحش والأبله، أو ضدّ كيرنسكي الغبي، المغرور. إنّ بطولة القيام بعمل تنظيمي عنيد وطويل النّفس، على نطاق البلاد كلّها، لهو أصعب إلى ما لا حدّ له، ولكنه أرفع إلى ما لا حدّ له من بطولة الانتفاضات.

لينين: رسالة إلى عمال بيتروغراد،
البرافدا، عدد 101، 23 أيار 1918.

تقديم

«تروتسكية أم لينينيّة» نصّ كتبه الرّفيق ستالين في نوفمبر 1924، هو نصّ نادر التّداول حتّى باللّغات الأجنبيّة صلب الحركة الشّيوعيّة العالميّة وخاصّة العربيّة. أترجم هذا النّص إلى اللّغة العربيّة لأنّه يكتسي، في نظرنا، أهميّة بالغة لعدّة أسباب:

1. لهذا النص أهميّة تتعلق بكتابة التّاريخ الحقيقي لثورة أكتوبر الاشتراكيّة العظمى التّي شكلت منعرجا حاسما في تاريخ البشرية باعتباره يتناول الأحداث واللحظات العصيبة في تحضير وإنجاز تلك الثّورة على لسان أحد أهمّ زعمائها الذّي كان في قلب جميع الأحداث المتعلقة بها. فالنص من هذه الناحية يهمّ كافة المؤرخين الديمقراطيين الشرفاء فضلا عن المثقفين الشيوعيين.

2. لهذا النص أهميّة استثنائية باعتبار: أوّلا. تاريخ كتابته في نوفمبر 1924 بعيد وفاة لينين، أيّ في فترة ما زالت فيها التّروتسكية وتروتسكي «أقوياء» صلب الحزب البُلشفي وصلب الحركة الشّيوعيّة العالمية. في فترة لا يمكن لأحد أن يزعم فيها أن ستالين كان «مسيطرا» على الحزب والدّولة السّوفيتية. وثانيا. باعتبار شكله حيث جاء في شكل خطاب علني مفتوح وبحضور الخصوم السياسيين. في هذه الظروف ينبري ستالين ليفضح أكاذيب تروتسكي والتروتسكيين حول انتفاضة أكتوبر والحزب البُلشفي والتّي اتخذت شكل هجوم فكري ممنهج ضدّ البُلشفيّة وزعمائها وعلى رأسهم لينين.

3. لهذا النص أهميّة بالغة لا لتضمّنه أفكارا نظريّة ضدّ أطروحات التّروتسكية حول «الثّورة الدّائمة» أو الحزب، الخ - فقد تناول ستالين هذه المسائل بأكثر تفصيل وبكمال أكبر في مؤلفاته الأخرى مثل «أسس ومسائل اللّينينيّة» و«ثورة أكتوبر وتكتيك الشيوعيين الروس» الخ – بل لتناوله مسائل تكتيكية تتعلق بالتحضير الحي لثورة أكتوبر ولكونه يبين بكلّ موضوعية وعلنية وبالوثائق القادة

الحقيقيين لانتفاضة أكتوبر المظفرة والقادة الحقيقيين للنصر على الثّورة المضادة والدور الحقيقي لتروتسكي سواء في الانتفاضة أو في الحرب الأهليّة.

4. لهذا النص أهميّة ملحوظة لأنه يبرز، مرّة أخرى، إحدى أهمّ خصال القائد الفذّ يوسف ستالين وهي الموضوعيّة والانضباط الحزبي. فرغم خطورة التّشويهات التّي يروّجها تروتسكي عن لينين والحزب البُلشفي ورغم حدّة النّقاش لدحض تلك التّشويهات، نجد ستالين هادئا، صلبا يشير إلى تروتسكي بـ«الرّفيق تروتسكي» ويعارض أيّ لجوء لعقوبات ضدّه ويطرح في المقابل خوض صراع إيديولوجي علني شامل ضدّ التّروتسكية كتّيار معادي للينينية باستقلال عن شخص تروتسكي.

نضال الحديدي

أيها الرّفاق،

بعد التّقرير المفصّل للرفيق كامنييف لم يبق لي إلا القليل لقوله. لذلك سأكتفي بدحض بعض الأساطير التّي ينشرها تروتسكي وأصدقائه حول ثورة أكتوبر ودور الرّفيق تروتسكي في الثّورة والحزب والتحضير الثّوري، الخ. سأتناول أيضا التّروتسكية بوصفها إيديولوجية معادية للينينية وسأتحدث، أخيرا عن واجبات الحزب إزاء الأعمال الفكرية الأخيرة للرفيق تروتسكي.

وقائع انتفاضة أكتوبر

أوّل الأمور انتفاضة أُكتوبر. ينشر بحماس مميّز بين أعضاء الحزب أن اللّجنة المركزيّة أعلنت معارضتها للانتفاضة في أُكتوبر 1917. ويحكى بصورة اعتيادية أنه في 10 أُكتوبر أعلنت غالبية اللّجنة المركزيّة في البداية معارضتها للانتفاضة لكن دخول أحد العمال بصورة فجئية إلى القاعة أدى إلى انقلاب الأمور. وينسب إلى هذا العامل قوله: «أنتم تصوتون ضدّ الانتفاضة لكنني أحذركم من أن الانتفاضة ستقع مع ذلك». ويقال إن اللّجنة المركزيّة متأثرة بهذا القول قرّرت آنذاك الانتفاضة.

لا يتعلّق الأمر هنا بمجرد أحدوثة، فقد روى جون ريد أيضا هذه القصّة في كتابه «عشرة أيام هزّت العالم». لم يكن جون ريد آنذاك عضوا بعد في حزبنا وقد وقع في فخ م. سوخانوف. هذه الحكاية وقع تضمينها وتكرارها مرارا في جملة من الكراريس التّي كتبها أصدقاء تروتسكي ومن ضمنها مؤخّرا كراس حول أُكتوبر من تأليف الرّفيق سيركين.

وتسهم المؤلفات الفكرية الأخيرة للرفيق تروتسكي إلى حدّ كبير في ترويج هذه الإشاعات. لا حاجة لإثبات أن كلّ هذه الترهات غير مطابقة للحقيقة وأن لا شيء من ذلك القبيل حصل في اجتماع اللّجنة المركزيّة. لم نمنح أهميّة لهذه الإشاعات لأننا تعوّدنا على التفاهات المتأتية من المعارضة أو من أشخاص خارج الحزب. لم نولي كذلك أهميّة لأخطاء جون ريد. لكن بعد مؤلف تروتسكي الأخير لم يعد بالإمكان ترك هذه الأساطير تمرّ في صمت لأنه باستخدامها يراد تكوين الشّباب. وللأسف نجحوا نوعا ما في هذا المجال، لذلك يجب أن أواجه بالوقائع هذه الإشاعات الحمقاء التّي يقع ترويجها.

لنأخذ محاضر اجتماع لجنة حزبنا المركزيّة يوم 10 أُكتوبر 1917. الحاضرون: لينين، زينوفييف، كامينييف، ستالين، تروتسكي، سفردلوف، أوريتسكي، دزيرزنسكي، كولونتاي، بوبنوف، سوكولنكوف، لوموف. نوقشت مسألة الوضع

الرّاهن والانتفاضة. وبعد النّقاش، تمّ التّصويت على قرار لينين في الانتفاضة. وصودق على ذلك القرار بأغلبيّة 10 مقابل 2. ومن الواضح أن نفهم أنّه بأغلبيّة 10 مقابل 2 قد قرّرت اللّجنة المركزيّة الشّروع في التنظيم الانتفاضة على نحو مباشر وعملي. وفي نفس الاجتماع انتخبت اللّجنة المركزيّة مركزا **سياسيّا** لقيادة الانتفاضة. إنّ هذا المركز المسمّى مكتبا سياسيا ضمّ لينين وزينوفييف وستالين وكامينييف وتروتسكي وسوكولنكوف وبوبنوف.

تلك هي الوقائع.

إنها تحطم الكثير من الأساطير ومن بينها تلك التّي تقول بأن اللّجنة المركزيّة أعلنت معارضتها للانتفاضة. وتحطّم الأسطورة القائلة بأن اللّجنة المركزيّة كانت قاب قوسين أو أدنى من الانقسام بسبب الخلافات حول مسألة الانتفاضة. يتّضح من محاضر الجلسة أن معارضي الانتفاضة الحينية – كامنييف وزينوفييف – دخلوا كأعضاء في المكتب السياسي المكلف بقيادة الانتفاضة المسلّحة. لم تكن إذن مسألة الانقسام واردة.

يدّعي تروتسكي أن حزبنا كان يضم في أكتوبر 1917، في شخصي كامنييف وزينوفييف، جناحا يمينيا شبه اشتراكي ديمقراطي. لو كان ذلك صحيحا، لما استطعنا أن نفهم كيف أمكن للحزب تلافي الانقسام وكيف يحتل هؤلاء الرّفاق أهمّ المناصب في الحزب بوصفهم أعضاء في المكتب السياسي الذّي قاد الانتفاضة. نعرف صرامة لينين إزاء الاشتراكية الدّيمقراطيّة. لم يكن لينين ليسمح أبدا بأن يتواجد في الحزب رفاق يحملون ميلا إلى الاشتراكية الدّيمقراطيّة، ومن باب أولى وأحرى، لم يكن ليسمح بتعيين هؤلاء الرّفاق في أهمّ المناصب.

بالنسبة لهؤلاء الرّفاق، يتعلّق الأمر ببلاشفة قدامى يقفون على الأرضية العامّة للبُلشفيّة، هناك وحدة في الرؤى حول المسائل الجوهرية: طبيعة الثّورة الروسيّة، القوى المحركة للثورة، دور الفلّاحين، أسس تنظيم الحزب، الخ. بدون هذه الوحدة في وجهات النظر ما كان يمكن تجنب الانقسام. على العكس من ذلك، لم تؤدي الخلافات بين هؤلاء الرّفاق وبين أغلبيّة اللّجنة المركزيّة إلى الانقسام بل زالت خلال بضعة أيّام لأنّ كامنييف وزينوفييف كانا لينينيّين وبُلشفيّين.

لنتحدّث الآن عن أسطورة دور تروتسكي في انتفاضة أكتوبر. يروّج أصدقاء تروتسكي بوقاحة أنّ تروتسكي هو المهندس والقائد الوحيد للانتفاضة.

يساهم في ترويج هذا اللّغو خاصّة الرّفيق لينتسنر محرّر مؤلّفات تروتسكي الكاملة والذّي يتجاهل بصفة ممنهجة دور الحزب ودور اللّجنة المركزيّة ولجنة لينينغراد في تنظيم الانتفاضة. واضعا نفسه في مقدمة الأحداث، يساهم تروتسكي أيضا، عن قصد أو بدونه، في نشر هذه الادّعاءات.

لا يخطر في بالي التشكيك في أهميّة الدور الذّي لعبه الرّفيق تروتسكي في الانتفاضة، لكن عليّ القول بأنه لم يكن ولا يمكن أن يكون دورا مميّزا: بوصفه رئيسا لسّوفييت بتروغراد لم يكن يقوم سوى بتنفيذ إرادة الهيئات المختصّة في الحزب التّي كانت تقوده خطوة بخطوة. إن برجوازيين صغار من طينة سوخانوف يجدون في ذلك غرابة لكن الوقائع، الوقائع الحقيقية، تأكّد تماما ما كنت بصدد قوله.

لننظر إلى بروتوكول جلسة اللّجنة المركزيّة بتاريخ 16 أكتوبر. الحاضرون: أعضاء اللّجنة المركزيّة، ممثلو لجنة بتروغراد، المنظّمة العسكريّة، لجان مصانع، نقابات، عمال سكك الحديد. بالإضافة إلى الرّفاق كريلنكو، شوتمان، كالينين، فولودارسكي، شليبنيكوف، لاتزيس وغيرهم. على جدول الأعمال مسألة التحضير العملي للانتفاضة. وقع تبني لائحة لينين من طرف 20 صوتا مقابل 2 وامتناع 2. وتقرّر تكوين جهاز مركزي مكلّف بالتنظيم الفعلي للانتفاضة ويضمّ هذا الجهاز خمسة رفاق هم: سفردلوف، ستالين، دزرجنسكي، بوبنوف وأوريتسكي. هذه اللّجنة ستقود الأعمال التّنفيذيّة حسب تعليمات اللّجنة المركزيّة.

وهكذا، كما ترون، حصل أمر «غريب» في هذه الجلسة للّجنة المركزيّة. وقع تكوين الجهاز المركزي المكلف بالقيادة التنفيذية للانتفاضة دون تعيين الرّفيق تروتسكي، «المهندس» و«المحرّك الرّئيسي» و«القائد الوحيد» للانتفاضة، إلى عضويّة ذلك الجهاز!

بوصفه عضوا جديدا نسبيا في حزبنا، لم يكن بإمكان تروتسكي أن يلعب دورا مميّزا سواء في الحزب أو في الانتفاضة. لم يكن، ككلّ مناضل مسؤول، سوى منفّذ

لإرادة اللّجنة المركزيّة وهياكلها. كلّ شخص له اطلاع على منظّمة الحزب البُلشفي سيفهم دون عناء كبير أنه لا يمكن أن يجري الأمر إلا على هذا النحو. لو عارض تروتسكي إرادة اللّجنة المركزيّة لما أمكن له أن يمارس أدنى تأثير على مجريات الأحداث. إن ما يروّج في الحزب عن دوره المتميز لا يعدو أن يكون سوى تزييف مغرض.

لا يعني ذلك أن انتفاضة أكتوبر لم يكن لها مهندس. إن قائدها ومهندسها هو لينين الذّي وقع تبنّي لوائحه حول الانتفاضة من طرف اللّجنة المركزيّة. كونه كان مجبرا على العيش في السرّية لا يعني، مهما قال الرّفيق تروتسكي، أنه ليس المهندس الحقيقي للحركة. إنه لمن الغباء والحمق إنكار هذا الدور للينين.

إليكم الوقائع.

قد يقال لنا نحن متّفقون على ذلك، ولكن هل يمكن الشّك في أنّ الرّفيق تروتسكي قد أبلى بلاء حسنا في أكتوبر؟ صحيح أنّ تروتسكي أبلى بلاء حسنا في أكتوبر ولكن ليس وحده من أبلى البلاء الحسن. الاشتراكيون الثّوريون اليساريون مثلا الذين كانوا يسيرون معنا في تلك الفترة لم يبلوا بلاء سيّئا. بل يمكنني القول بصفة عامّة أنه في مرحلة الانتفاضة المظفّرة عندما يكون العدوّ معزولا وقوى الثّورة في تعاظم مستمرّ، ليس من الصّعب أن يبلى المرء بلاء حسنا. في مثل تلك اللّحظات، حتّى العناصر المتأخّرة يمكن أن تصبح أبطالا. لكن نضال البروليتاريا لا يتمثل دوما في الهجوم ولا يتشكّل دوما من سلسلة لا تنقطع من الانتصارات بل يعرف انتكاسات وهزائم. يجب على الثّوريين الحقيقيّين أن يثبتوا شجاعتهم ليس في فترة انتصار الانتفاضة وحدها بل كذلك في فترة الانتكاسات والتّراجعات.

لم يكن بلاء الاشتراكيين اليساريّين سيّئا في فترة أكتوبر عندما ساندوا البلاشفة، لكننا نعرف مدى الارتباك الذّي تملّك هؤلاء «الشّجعان» في فترة بريست-ليتوفسك وكيف رمى بهم هجوم الإمبرياليّة الألمانية في يأس مظلم.

تروتسكي الذّي أبلى بلاء حسنا في أكتوبر، لم تكن له الشّجاعة والصلابة الضّروريّتين لكيلا يقتف آثار الاشتراكيين الثّوريين اليساريّين في فترة بريست-ليتوفسك، فترة الاخفاق المؤقّت. لا شكّ أن الوضع كان في غاية الصّعوبة وأنه كان

يتطلّب شجاعة وحضورا ذهنيا خارقا للعادة للتّراجع في الوقت المناسب دون تمكين العدوّ من سحقنا، وإبرام السّلم في الوقت المناسب، ممّا سمح بإنقاذ الجيش البروليتاري والمحافظة على الاحتياطات الفلاحيّة لكي ننقضّ على العدوّ بعد فترة تهدئة بقوى جديدة.

يعتبر تروتسكي أنّ الدّرس الرّئيسي الذّي يجب أن نستخلصه من مرحلة أكتوبر هو أن لا «ننحرف». هذا غير صحيح لأنّ صيغة الرّفيق تروتسكي لا تتضمّن سوى **جزء** من الحقيقة. أمّا الحقيقة، **كلّ** الحقيقة، فتتمثّل في أنّه يجب أن لا «ننحرف» لا فقط لحظة الهجوم الثّوري ولكن أيضا يجب أن نحافظ على صلابتنا عند اخفاقات الثّورة، عندما يجبرنا العدوّ على التّراجع. لا يشكّل أكتوبر سوى بداية الثّورة البروليتارية ومن المحزن أن ننحرف في البداية ولكن الأكثر حزنا أن ننحرف في مرحلة المحن الصّعبة التّي تمرّ بها الثّورة بعد مسك السّلطة. إن المحافظة على السّلطة غداة الثّورة مهمّة لا تقل جسامة عن الاستيلاء عليها. إنّ تروتسكي الذّي انحرف في فترة بريست-لتوفسك في وقت صعب للغاية لمّا كنّا قريبين من فقدان السّلطة، سيفهم أنه من غير المناسب بالمرّة الحديث بعد ذلك عن أخطاء كامنييف وزينوفييف في أكتوبر.

الحزب وتحضير أكتوبر

لنمر إلى مسألة التّحضير لأكتوبر. عندما نستمع إلى الرّفيق تروتسكي يتحدّث يمكن أن يذهب في اعتقادنا أن الحزب البُلشفي في الفترة بين مارس وأكتوبر، وقد نهشته النّزاعات الدّاخليّة، كان يضع جميع أنواع العراقيل أمام لينين، وأنه لو لم يكن الرّفيق تروتسكي موجودا ما من أحد يعلم ماذا سيكون مآل ثورة أكتوبر. من المسلّي أن نسمع تروتسكي يقول هذه الأشياء عن الحزب، لأنّنا نقرأ في مقدمة الجزء الثّالث من كتابه أن «الحزب هو الأداة الرئيسية للثورة البروليتاريّة» وأن «الثّورة البروليتاريّة لم يكن لها أن تنتصر بدون الحزب...» حتّى حكمة الآلهة لا تكفي لتفسير كيف كان يمكن للثّورة أن تنتصر إذا كانت «أداتها الرئيسية» على تلك الحالة الرثّة.

ينقسم تاريخ التّحضير لثورة أكتوبر إلى عدّة مراحل:

فترة الاتجاه الجديد للحزب

(مارس — أفريل)

أهمّ الأحداث المميّزة لهذه الفترة هي التّالية:

أ) سقوط القيصرية؛

ب) تكوين الحكومة المؤقّتة (دكتاتوريّة البرجوازيّة)؛

ج) ظهور سوفييتات العمال والجنود (دكتاتوريّة البروليتاريا والفلّاحين)؛

د) تعايش الدكتاتوريتين؛

هـ) مظاهرة أفريل؛

و) الأزمة الأولى للسّلطة.

تميزت هذه الفترة بتواجد، في نفس الوقت وإلى جانب دكتاتوريّة البرجوازيّة، للدكتاتوريّة البروليتاريّة والفلاحيّة التّي سلّمت ثقتها للدكتاتوريّة البرجوازيّة وآمنت

بجهودها السلميّة ومنحت بإرادتها السّلطة للبرجوازيّة وأصبحت بذلك ملحقة بها. لم تنشأ بعد نزاعات جديّة بين الدكتاتوريتين وقد وقع تشكيل لجنة سمّيت بـ«لجنة الاتّصال»[1] مكلّفة بربط الصّلة بين الأجهزة.

لقد حصل أعظم تحوّل في تاريخ حزبنا. فقد أصبحت الأرضية القديمة لقلب الحكم التّي وقعت صياغتها قبل الثّورة رغم دقتها ووضوحها، غير ملائمة لشروط النّضال الجديدة. لم يعد بالإمكان لنشاط الحزب أن يهدف مباشرة إلى إسقاط الحكومة نظرا لارتباط هذه الأخيرة بالسّوفييتات التّي كانت تحت تأثير الاشتراكيين القوميّين، وإلاّ فسيخوض نضالا غير متناسب مستخدما قواه ضدّ الحكومة والسّوفييتات معا. لكنه كان من المستحيل أيضا أن يساند الحكومة المؤقّتة التّي كان يعي ميولها الإمبرياليّة.

كانت ظروف النّضال الجديدة تفرض على الحزب اتجاها سياسيا جديدا. كان الحزب، أيّ أغلبيته، يتلمس باحثا عن الطريق الجديدة. وقد اعتمد سياسة قوامها ممارسة الضغط عبر السّوفييتات على الحكومة المؤقّتة في مسألة السلم، لم يقرر

---

[1] ضمّت «لجنة الاتّصال»: شيخيدزه وستيكلوف وسوخانوف وفيليببوفسكي وسكوبيليف (وفيما بعد ضمّت شيرنوف وتسيريتيلي). لقد ألّفتها لجنة سوفييت نوّاب العمال والجنود التّنفيذيّة في بتروغراد - وهي لجنة منشفيّة واشتراكية ثوريّة- يوم 7 مارس 1917، قصد إقامة صلة بالحكومة المؤقّتة لـ«التّأثير» في هذه الأخيرة و«مراقبة» نشاطها. لكنّها ساعدة فعليّا على تمرير السّياسة البرجوازيّة للحكومة المؤقّتة وحالت دون انخراط جماهير العمال انخراطا نشيطا في نضال ثوري لنقل كلّ السّلطة إلى السّوفييتات. استمرّت «لجنة الاتّصال» إلى حدود ماي 1917 وهو التّاريخ الذّي دخل فيه المناشفةُ والاشتراكيون الثّوريّون الحكومةَ المؤقّتة. — نبع

بصفة فورية توسيع الشعار القديم لدكتاتوريّة البروليتاريا والفلّاحين إلى حدّ رفع شعار «كل السّلطة للسّوفييتات». كانت سياسة نصف الخطوة هذه ترمي إلى فضح الطابع الإمبريالي للحكومة المؤقّتة وانتزاع السّوفييتات من تحت تأثيرها من خلال مناقشة مسائل ملموسة داخل السّوفييتات. لقد كانت تلك السّياسة خاطئة لأنها تخلق أوهاما سلميّة لم يتأخر الاشتراكيون القوميون في استغلالها ولأنها تعيق التّربية الثوريّة للجماهير. كنت، على غرار رفاق آخرين، أشاطر وجهة النّظر الخاطئة هذه، لكن مع منتصف أفريل لما وقع تبني أطروحات لينين تخلّيت كليّا عنها. (ساند زينوفييف، الذّي يريد تروتسكي تقديمه كأحد أتباع هلفردنغ، كليّا وجهة نظر لينين)

إن توجّها جديدا يفرض نفسه. وقد سطّر لينين في أطروحات أفريل الشّهيرة الخط الجديد للحزب. هل وجد خلاف في ذلك الوقت بين الحزب ولينين؟ نعم ولكن لم يدم سوى أسبوعين. لقد شكّل اجتماع منظّمة بتروغراد[2] خلال النّصف الثّاني من أفريل والتّي تبنّت أطروحات لينين منعرجا في تاريخ حزبنا. وقد أقرّت ندوة الحزب في آخر أفريل قرار منظّمة بتروغراد ووقع تبني التّكتيك الجديد بأغلبيّة الرّفاق السّاحقة.

والآن وبعد مرور سبع سنوات على ذلك، يُظهر تروتسكي غبطته لخلافات بين بلاشفة اندثرت منذ مدّة طويلة والتّي يقدّمها تروتسكي على أنّها صراع بين حزبين في صلب البُلشفيّة. إنّه يغالي في الأمور إلى أقصى حدّ، لأنّ الحزب البُلشفي تغلّب على تلك الخلافات دون حصول أيّ ضرر. سيكون حزبنا مجرّد طائفة منغلقة

---

[2] انعقد هذا الاجتماع من 14 إلى 22 أفريل 1917 بحضور 57 مندوبا. كان للينين وستالين قسما كبيرا في أشغاله. وقدّم فيه لينين تقريرا في الوضع الرّاهن مستندا على «أطروحات أفريل». وانتُخب ستالين ضمن لجنة صياغة القرار في تقرير لينين. – نبع

لا حزبا ثوريّا إذا لم يقبل في صفوفه الاختلاف في الأفكار. يعلم الجميع أنّ تاريخ حزبنا شهد اختلافات أخرى في الأفكار مثل تلك التّي برزت في فترة الدوما الثّالثة ولكن ذلك لم يمسّ من وحدة الحزب. وقد لا يكون دون فائدة توجيه السّؤال لتروتسكي حول موقفه في تلك الفترة.

يزعم «محرّر» أعمال تروتسكي الرّفيق لنتسنر أنّ الرّسائل الأمريكية لتروتسكي (مارس 1917) «تستبق» «رسائل من بعيد» للينين (التي نشرت أيضا في مارس) والتّي تضمّنت الأفكار التّي أسس عليها لينين أطروحات أفريل. «استباق كلّي» هكذا يرى الرّفيق لنتسنر ولا يبدي تروتسكي طبعا أيّ اعتراض على هذه المقارنة ويقبلها بإمتنان. لكن، بداية، لا وجود لأيّ شبه بين رسائل تروتسكي ورسائل لينين، لا في الفكر ولا في الاستنتاجات. رسائل تروتسكي تكرّر شعار «لا للقيصرية، حكومة عماليّة» المعادي للبُلشفيّة، شعار يعني الثّورة بدون الفلّاحين. يكفي أن نقارن مجموعتي الرسائل لنكتشف الفرق.

ثمّ كيف نفسّر أنّ لينين، بعد يومين من رجوعه إلى روسيا، يرسم المسافة بينه وبين تروتسكي. من منّا لا يعرف تصريحات لينين المتتالية حول شعار تروتسكي «لا للقيصرية، حكومة عماليّة» حيث يعتبره محاولة «للقفز على الحركة الفلاحيّة التّي لا تزال حيّة» ويصفه بـ«لعبة الاستيلاء على السّلطة بواسطة الحركة العماليّة». أيّ شبه بين أطروحات لينين البُلشفيّة وصيغة تروتسكي المعادية للبُلشفيّة؟ لماذا شعر الرّفيق لنتسنر بالحاجة إلى أن يضيف إلى الأساطير الأخرى حول الثّورة تلك المتعلقة بـ«استباق» رسائل تروتسكي الأمريكيّة لرسائل لينين*؟

* عرض الأساطير ذاك يتضمّن أيضا رواية حول الرّفيق تروتسكي بوصفه المنظِّم «الوحيد» و«الرّئيسي» للحرب الأهليّة. يجب عليّ أيها الرّفاق القول بأنّ هذه الرّواية غير حقيقيّة بالمرّة. بعيدا عن التّفكير في التّشكيك في الدّور الهام للرّفيق تروتسكي في الحرب الأهليّة، أجدني مجبرا على التّصريح عاليا وبصورة قاطعة بأن شرف تنظيم انتصاراتنا لا يعود إلى أشخاص بل إلى مجموع العناصر المتقدّمة من عمال بلدنا أيّ إلى الحزب الشّيوعي لروسيا. وقد يكون من المفيد أن نستشهد ببعض الأمثلة.

تعرفون أننا نعتبر كولتشاك ودنكين ألدّ أعداء الجمهورية السّوفيتية وتعرفون أن بلدنا بدأ يستردّ أنفاسه فقط بعد الانتصار على هذين العدوين. لكنّ التّاريخ يبيّن لنا أنّ جيوشنا انتصرت على كولتشاك ودنكين بعد تنفيذ خطط مناقضة لخطط تروتسكي. لتحكموا بأنفسكم:

- كولتشاك: صيف 1919، جيوشنا بصدد شنّ هجوم على كولتشاك متوجّهة لأخذ «أوفا». جلسة اللّجنة المركزيّة، تروتسكي يقترح وقف الهجوم عند خطّ «بيالايا» (قبيل «أوفا») وترك الأورال بين يدي كولتشاك وسحب جزء من جيوشنا من الجبهة الشرقيّة لتقوية الجبهة الجنوبيّة. بعد نقاش مثير أعلنت اللّجنة المركزيّة معارضتها وقرّرت عدم ترك الأورال بمصانعه وسكك حديده إلى كولتشاك الذّي سيستغل ذلك وسيتمكن بسهولة من تنظيم جيشه بمساعدة الفلّاحين ومن ثمة يستأنف الهجوم نحو الفولغا. قرّرت إذن (اللّجنة المركزيّة) طرد كولتشاك إلى ما وراء الأورال في الصّحاري السيبيريّة أوّلا، ثم النّظر بعد ذلك في تقوية الجبهة الجنوبيّة بجيوش تسحب من الجبهة الشرقيّة. قدّم تروتسكي الذّي تمّ رفض مقترحه استقالته لكن اللّجنة المركزيّة رفضت قبولها، أمّا القائد فاتسليس الذّي كان يساند خطة تروتسكي فقد استقال ووقع تعويضه بكامنييف. ومنذ ذلك الحين لم يشارك تروتسكي مباشرة في عمليات الجبهة الشرقية.

- دانكين: خريف 1919، فشل الهجوم على دانكين، «الدائرة الحديديّة» حول «مامنتوف» لم تؤدّي إلى تقدّم، احتلّ دانكين «كورسك» ويزحف على «أوريل». وقعت دعوة تروتسكي من الجبهة لحضور إجتماع اللّجنة المركزيّة. أعلنت اللّجنة المركزيّة أن الوضع يبعث على القلق وقرّرت أن ترسل إلى الجبهة الجنوبيّة موظفين عسكريّين جدد من الحزب وتنحية تروتسكي. طلب الموظفون المرسلون إلى الجبهة أن يمتنع تروتسكي عن كلّ «تدخل» في العمليات. قبل تروتسكي ذلك وتواصلت العمليّات في غيابه حتّي تمكّنت جيوشنا من تحرير «روستوف» و«أوديسا».

ولنر إن كان هنالك من يرفض هذه الوقائع.

مرحلة التعبئة الثوريّة للجماهير
(ما أوت)

أهمّ الأحداث المميّزة لهذه المرحلة هي التّالية:

أ) مظاهرة أفريل في بتروغراد وتشكيل حكومة ائتلافيّة بمشاركة «اشتراكيين»؛

ب) مظاهرات الأوّل من أيّار في المدن الرئيسيّة تحت شعار «سلم ديمقراطيّة»؛

ج) مظاهرة جوان في بتروغراد تحت شعار «يسقط الوزراء الرأسماليون»؛

د) هجوم جوان وإخفاقات الجيش الروسي؛

هـ) الاستعراض المسلح في بتروغراد في جويلية واستقالة أعضاء الحكومة من الكاديت؛

و) نشر فرق معادية للثورة وقع سحبها من الجبهة وتخريب مقر تحرير البرافدا، نشاط معادي للثورة ضدّ السّوفييتات وتشكيل حكومة ائتلافية جديدة برئاسة كيرنسكي؛

ز) المؤتمر السادس للحزب يطلق شعار تحضير الانتفاضة المسلحة؛

ح) انقلاب كورنيلوف الفاشل ضدّ بتروغراد وتواصل نشاط السّوفييتات، استقالة الكاديت وتشكيل «المديرية».

يجب أن نعتبر أن الخط الأكثر تمييزا لهذه المرحلة يتمثل في احتداد الأزمة وتحطيم التوازن بين السّوفييتات والحكومة المؤقّتة. فقد وصلت «لجنة الاتصال» إلى حالة لم تعد تستطيع معها الاشتغال وكانت «أزمة السّلطة» و«شطحات الوزراء» على لسان الجميع في تلك الفترة. وقد ساهمت الأزمة على الجبهة والفوضى في المؤخرة في تقوية أقصى اليسار وعزل، من الجانبين، «الاشتراكيين» الباحثين عن صفقة والقوميّين. كانت الثّورة تنضج والثّورة المضادّة تثير باستمرار موجات ثوريّة جديدة. أصبحت مسألة انتقال السّلطة بين أيدي طبقة جديدة على جدول الأعمال.

هل وُجدت في تلك الفترة خلافات صلب الحزب؟ نعم، ولكنها ذات طابع موضوعي على عكس ما يزعم تروتسكي الذّي يبذل جهده لاكتشاف «يمين» و«يسار» في الحزب، خلافات لا يمكن أن نتصوّر بدونها حزبا حيّا ويعمل بصفة جديّة.

يخطئ تروتسكي لمّا يصرّح أن مظاهرة أفريل في بتروغراد أثارت خلافات في اللّجنة المركزيّة، فقد عارضت اللّجنة المركزيّة بالإجماع محاولة مجموعة من الرّفاق اعتقال أعضاء الحكومة المؤقّتة في وقت لم يكن فيه البلاشفة سوى أقليّة صلب السّوفييتات وكذلك في الجيش. لو لم يكتب الرّفيق تروتسكي «تاريخ» ثورة أكتوبر بالرجوع إلى سوخانوف، ولو اعتمد على وثائق لا يمكن الطعن فيها لاستطاع دون عناء كبير أن يقتنع بعدم صحّة ما طرحه. يخطئ أيضا لما يزعم أن محاولة تنظيم مظاهرة بتروغراد «يمبادرة» من لينين والتّي ضبط تاريخها في 9 جوان، قد وقع اعتبارها «عمل مغامر» من طرف أعضاء «اليمين» في اللّجنة المركزيّة. لو لم يستق تروتسكي من كتاب سوخانوف لاستطاع أن يعرف أن مظاهرة 9 جوان قد تأجّلت باتفاق كامل مع لينين الذّي دافع عن هذا القرار للّجنة المركزيّة في خطاب مطول ألقاه في اجتماع لجنة بتروغراد (أنظر: محاضر لجنة بتروغراد).

يخطئ الرّفيق تروتسكي تماما عندما يتحدّث عن «خلافات مأساوية» في اللّجنة المركزيّة حول الاستعراض المسلّح في جويلية. ولا يعدو أن يكون سوى محض تلفيق من طرفه افتراضه أن بعض الأعضاء في المجموعة القياديّة للّجنة المركزيّة «اعتبروا أحداث جويلية كمغامرّة في غير محلّها». إنّ تروتسكي الذّي لم يصبح في تلك الفترة عضوا في اللّجنة المركزيّة والذّي لم يكن سوى نائبنا في مجلس السّوفييت، لا يمكنه طبعا أن يعرف أن اللّجنة المركزيّة لا تعتبر الاستعراض انتفاضة مسلّحة وأنها سعت فقط إلى جسّ نبض العدوّ وأنّه لا اللّجنة المركزيّة ولا لينين خطر في باله تحويل الاستعراض إلى انتفاضة في وقت مازالت فيه سوفييتات المدن الرّئيسيّة تحت تأثير الاشتراكيين القوميّين. طبعا يمكن أن يكون بعض البلاشفة قد حزن لهزيمة جويلية، وأنا أعرف حالات من البلاشفة المعتقلين في تلك الفترة أبدوا

حتّى رغبة في مغادرة صفوفنا. لكن أن يستخلص المرء من ذلك استنتاجات ضدّ أعضاء مزعومين ليمين مزعوم في اللّجنة المركزيّة فهذا يعتبر تزييفا فجا للتاريخ.

يخطئ تروتسكي لما يصرّح أنه خلال مغامرّة كورنيلوف اضطرت مجموعة من قياديي الحزب إلى التّحالف مع الاشتراكيين القوميّين لمساندة الحكومة المؤقّتة. يتعلّق الأمر طبعا بـ«اليمين» المزعوم الذّي يطرد النّوم عن تروتسكي. تروتسكي على خطأ. إنّ عدّة وثائق ومنها مثلا أعداد الجريدة المركزيّة للحزب تكذّبه قطعيا. يستشهد تروتسكي برسالة للينين ينبّه فيها اللّجنة المركزيّة من دعم محتمل لكرنسكي. ولكن تروتسكي لا يفهم رسائل لينين ولا يفقه مطلقا معناها وأهدافها. في هذه الرسائل يتعرض لينين لأخطاء لم توجد بعد ولكن يمكن أن تقع، فهو ينبّه الحزب ليجنّبه أيّ خطوات خاطئة متوقّعة. في بعض الأحيان يهوّل مسألة في «غاية البساطة»، «يجعل من البعوضة فيلا» لنفس هدف تربيّة الحزب.

إن زعيم الحزب، خاصّة عندما يكون مجبرا على العيش في السريّة، لا يمكنه إلا أن يتصرف بتلك الطّريقة. يجب عليه أن يكون أكثر حذرا من رفاقه في النّضال ويدقّ ناقوس الخطر لتحذير الحزب من أيّة أخطاء ممكنة حتّى لو كانت «أشياء بسيطة». لكن، أن نستنتج من تلك الرسائل خلافات «مأساوية» فذلك يعني عدم فهم وعدم معرفة بلينين وهو ما يفسّر أخطاء تفسيرات تروتسكي. باختصار، لم يكن هناك خلافات بين أعضاء اللّجنة المركزيّة خلال مغامرّة كورنيلوف.

بعد هزيمة جويلية، ظهرت فعلا خلافات بين اللّجنة المركزيّة ولينين بخصوص السّوفييتات. نعرف أن لينين كان يريد تركيز اهتمام الحزب حول تحضير الانتفاضة خارج إطار السّوفييتات وكان يحذرنا من عدم الانبهار بالسّوفييتات. كان يرى أن السّوفييتات قد تحوّلت إلى صحراء وأن الجماهير كرهتها بفعل سيطرة الاشتراكيين القوميّين عليها. لكن اللّجنة المركزيّة والمؤتمر السّادس للحزب تبنّوا سياسة أكثر حذرا تأخذ في الاعتبار إمكانيّة استئناف نشاط السّوفييتات وقد بيّنت عمليّة كورنيلوف صحّة وجهة النّظر هذه وقد اعترف لينين بذلك لاحقا. وللمفارقة، لم يتشبّث تروتسكي بهذا الخلاف ولم يهوّله «بصورة غير مناسبة».

وهكذا، يعطينا الحزب في تلك الفترة مشهدا عن منظّمة صلبة ومنضبطة متواجدة في قلب التحضيرات الثوريّة للجماهير.

مرحلة نخ م للانتفاضة

لنبرز الأحداث المميّزة لتلك المرحلة:

أ) دعوة الكونفرانس الديمقراطي وفشل التّحالف مع السّوفييتات؛

ب) كسب البلاشفة لسّوفييت موسكو وبتروغراد؛

ج) مؤتمر سوفييت المنطقة الشماليّة[3] وقرار سوفييت بتروغراد معارضة التحاق الحامية بالجبهة؛

د) قرار اللّجنة المركزيّة حول الانتفاضة وتشكيل اللّجنة العسكريّة الثوريّة لسّوفييت بتروغراد؛

هـ) قرار حامية بتروغراد حول الدعم المسلح لسّوفييت بتروغراد وتنظيم مندوبي اللّجنة العسكريّة الثوريّة؛

و) بدء عمل القوات المسلحة البُلشفيّة واعتقال أعضاء «الحكومة المؤقّتة»؛

---

[3] انعقد مؤتمر سوفييت المنطقة الشّماليّة من 24 إلى 26 أكتوبر 1917 في بتروغراد تحت قيادة البلاشفة. حضر مندوبون عن بتروغراد وموسكو وكرونستاد ونوفغورود وهلسنفورس ويوبورغ ومدن أخرى. وكان عدد المندوبين 94، منهم 51 بُلشفيّا. أقرّ المؤتمر قرارا في ضرورة نقل كلّ السّلطة إلى السّوفييتات المركزيّة والمحليّة فورا، ودعى للعمل على أن يساند الفلاحون النّضال لنقل السّلطة إلى السّوفييتات، ودعى السّوفييتات نفسها إلى التّعجيل في الشّروع في تأليف لجان عسكريّة ثوريّة لتنظيم الدّفاع العسكري للثّورة. وألّف المؤتمر لجنة للمنطقة الشّماليّة وأمرها بالتّحضير لدعوة المؤتمر الثّاني لسوفييت عموم روسيا وتنسيق أنشطة جميع السّوفييتات المحليّة.

ز) الاستيلاء على السّلطة من طرف اللّجنة العسكريّة الثوريّة لسّوفييت بتروغراد وتشكيل مجلس مفوضي الشعب من طرف المؤتمر الثّاني للسّوفييتات.

تميّزت هذه المرحلة بتفاقم سريع للأزمة وبتذبذب الدّوائر الحاكمة وبعزلة الاشتراكيين الثّوريّين والمناشفة وبالانتقال الجماعي للعناصر المتردّدة إلى البُلشفيّة.

كان التّكتيك الثّوري غريب جدّا في تلك الفترة إذ تميّز بالخصوص بشنّ الهجوم مع البقاء في حالة دفاعيّة. فقد كان رفض سوفييت بتروغراد إرسال الجيوش، دون شكّ، عملا هجوميّا ثوريّا لكنّه كان مبرّرا بضرورة الدّفاع عن بتروغراد ضدّ عدوان محتمل من طرف أعدائنا. ويعتبر تشكيل اللّجنة العسكريّة الثوريّة، بدون شكّ، عملا هجوميّا أكثر جديّة وأكثر صراحة لكنه تمّ تحت شعار الرّقابة السّوفييتيّة للسّلط العسكريّة. وكان إعلان تأييد الحامية للّجنة العسكريّة الثوريّة وتنظيم شبكة كاملة من المفوضين يعني، بدون شكّ، الشّروع في الانتفاضة ومع ذلك فقد قطعت الثّورة خطواتها الحاسمة تحت شعار ضرورة الدّفاع عن سوفييت بتروغراد ضدّ الهجمات المحتملة للثورة المضادّة.

كان ذلك بمثابة إخفاء الثّورة لأنشطتها الهجوميّة تحت عباءة الدّفاع بغرض جلب العناصر المتردّدة بسهولة أكبر. هذا ما يفسّر الطابع الدّفاعي ظاهريّا للخطب والمقالات والشّعارات في تلك الفترة رغم أنها كانت ترمي، تحت هذا الشّكل، إلى تحقيق أهداف هجوميّة.

هل وجدت في تلك الفترة خلافات صلب اللّجنة المركزيّة؟ نعم، بل حتّى خلافات هامّة. لن أكرر ما ذكرته منذ قليل حول الخلافات في مسألة الانتفاضة، لكنني سأتناول بالتفصيل ثلاثة مسائل: المشاركة في البرلمان التمهيدي ودور السّوفييتات في الانتفاضة وتاريخ هذه الأخيرة. يصبح ذلك ضروريا أكثر على اعتبار سعي تروتسكي لإبراز نفسه في المقدمة وتشويهه «بطريق الخطأ» وجهة نظر لينين حول المسألتين الأخيرتين.

ما من شكّ في أن الخلافات حول مسألة البرلمان التمهيدي كانت خلافات جديّة. ماذا كان هدف البرلمان التمهيدي؟ كان يهدف إلى مساعدة البرجوازيّة على تهميش السّوفييتات. لقد أجهض البرلمان التمهيدي مثلما أجهضت مغامرّة كورنيلوف،

ولكن المناشفة والاشتراكيين الثّوريين قاموا بإحداث البرلمان التمهيدي خدمة لمصلحة البرجوازيّة ولو شارك البلاشفة في أعمال هذا المجلس لكانت النتيجة تضليل العمال حول طابعه الحقيقي. هذا ما يفسّر الحملة العنيفة التّي شنّها لينين في رسائله على أنصار المشاركة في البرلمان التمهيدي.

شكّل دخول البلاشفة إلى البرلمان التمهيدي، دون شكّ، خطأ كبيرا ولكن من غير المقبول أن نفترض على طريقة الرّفيق تروتسكي أن الرّفاق أنصار ذلك الدّخول كانوا يرغبون «في قيادة الحركة العماليّة إلى خندق الاشتراكية الدّيمقراطيّة». هذا غير صحيح مطلقا ولو كان الأمر على خلاف ذلك لما استطاع الحزب إصلاح خطئه والخروج من البرلمان التمهيدي بتلك الطريقة الاستعراضيّة. إن الطريقة والسّرعة اللتين تمكّن الحزب بواسطتهما من إصلاح موقفه تثبت حيويّة الحزب وقوّته. اسمحوا لي أيضا بإصلاح خطأ صغير للرفيق لنتسنر، «محرّر» أعمال تروتسكي، حول جلسة الكتلة البُلشفيّة التّي قرّرت الدخول في البرلمان التمهيدي. يقول لنتسنر أنّ رفيقين شغلا وظيفة المقرّرين في هذه الجلسة هما كامنييف وتروتسكي. هذا غير صحيح، كان هناك أربعة مقرّرين، إثنان (تروتسكي وستالين) كانا مع مقاطعة البرلمان التمهيدي، وإثنان (كامنييف ونوقوين) مع المشاركة.

فشل تروتسكي في مغامرته أيضا لمّا حاول الحديث عن وجهة نظر لينين حول شكل الانتفاضة. فعندما نقرأ كتاب تروتسكي عن لينين يسودنا الانطباع بأنّ الحزب كان سيظفر بالسّلطة «بدون السّوفييتات» لو استمع إلى لينين في أكتوبر. (تروتسكي: حول لينين، ص 71، الطبعة الروسيّة). منتقدا هذا الخور الذّي ينسبه إلى لينين، يعلن تروتسكي بكل ثقة «كان ذلك سيكون خطأ». يصرّح تروتسكي هنا بشيء غير صحيح، إنه يشوّه فكرة لينين حول دور السّوفييتات في الانتفاضة ويمكننا الاستشهاد بجملة من الوثائق تبرز أنّ لينين كان يقترح الظفر بالسّلطة عن طريق سوفييت بتروغراد أو موسكو وليس بدونهما. لماذا اعتقد تروتسكي أنّه من الضّروري رواية هذه الأسطورة الغريبة عن لينين؟

لم يكن تروتسكي أوفر حظا لما «استعرض» وجهة نظر كلّ من اللّجنة المركزيّة ولينين حول تاريخ الانتفاضة. ففي روايته لوقائع الاجتماع الشّهير للّجنة المركزيّة في 10 أكتوبر، يزعم أنّه وقع تبنّي لائحة في هذا الاجتماع تقضي بأنّ «اندلاع الانتفاضة لن يتأخّر إلى ما بعد 15 أكتوبر» (المصدر السّابق). يبدو إذن حسب تروتسكي أن اللّجنة المركزيّة حدّدت في البداية تاريخ الانتفاضة في 15 أكتوبر لكنها تراجعت في قرارها لاحقا وحدّدت تاريخا جديدا في 25 أكتوبر. هذا غير صحيح، لم تتبنّى اللّجنة المركزيّة في تلك الفترة غير قرارين حول الانتفاضة في 10 و16 أكتوبر.

وقعت صياغة قرار 10 أكتوبر على النّحو التّالي:

«إنّ اللّجنة المركزيّة، آخذة في الاعتبار الوضع العالمي للثّورة الروسيّة (انتفاضة البحريّة الألمانية، تطوّر الثّورة الاشتراكيّة العالميّة في كامل أوروبا، خطر السّلم بين القوى الإمبرياليّة ضدّ الثّورة الروسيّة)، الوضع العسكري في روسيا (سعي البرجوازيّة والحكومة- كيرنسكي ومن لفّ لفه – إلى تسليم بتروغراد للألمان)،ظفر الحزب البروليتاري بأغلبيّة السّوفييتات، انتفاضة الفلّاحين، تعاظم تعاطف الجماهير الشّعبية مع حزبنا، نتائج انتخابات موسكو وأخيرا قرب محاولة جديدة لكورنيلوف (إبعاد حامية بتروغراد وتعويضها بجنود قوزاق، محاصرة «منسك» من طرف القوزاق، الخ)، تعتبر أنّ الانتفاضة المسلّحة أصبحت على جدول الأعمال.

إن اللّجنة المركزيّة معتبرة الانتفاضة المسلّحة حتمية ووشيكة، توجّه نداءا إلى كافة منظمات الحزب من أجل أن تقرّر وتحلّ على هذا الأساس جميع المسائل العمليّة (مؤتمر سوفييتات المناطق الشماليّة، نقل حامية بتروغراد، موقف حاميات موسكو ومنسك، الخ. »

وفيما يلي نص اللائحة التّي وقع تبنيها في اجتماع 16 أكتوبر بحضور موظفين مسؤولين:

«يبارك المجلس لائحة اللّجنة المركزيّة ويوافق عليها دون تحفظ ويدعو كلّ المنظمات وكلّ العمال وكلّ الجنود لأن تدفع إلى الحدّ الأقصى التّحضيرات للانتفاضة المسلّحة وأن تدعّم الجهاز المركزي الذّي أحدث لهذا الغرض من طرف اللّجنة

المركزيّة، وينتظر بكل ثقة أن تقرّر اللّجنة المركزيّة والسّوفييت اللّحظة المناسبة لاطلاق الحركة والوسائل المناسبة لضمان انتصارها.»

كما تلاحظون، فقد خانت الذاكرة تروتسكي.

يدّعي تروتسكي دون وجه حقّ أنّ لينين لم يفهم أهميّة الظفر بالسّلطة بواسطة المؤتمر المركزي لسّوفييتات عامّة روسيا في 25 أكتوبر وبأنّه ألحّ على الظفر بالسّلطة قبل 25 أكتوبر. هذا غير صحيح.

لقد اقترح لينين الظفر بالسّلطة قبل 25 أكتوبر لسببين:

أوّلا. لأن المعادين للثورة كان يمكنهم في كلّ لحظة تسليم بتروغراد للألمان؛

ثانيا. لأنه لا يمكن إصلاح الخطأ الذّي وقع فيه سوفييت بتروغراد بإعلانه بصورة مكشوفة و**علنيّة** عن تاريخ الانتفاضة (25 أكتوبر)، إلاّ إذا بدأت الانتفاضة **قبل** التّاريخ المحدّد.

كان لينين يعرف أن العدوّ، بعد علمه بتاريخ الانتفاضة نتيجة تهوّر سوفييت بتروغراد (تروتسكي كان مندوب البلاشفة في سوفييت بتروغراد!)، لن يبقى مكتوف الأيدي. يتعلّق الأمر إذن بالنّسبة للينين باستباق العدوّ وبحتمية بدء الانتفاضة **قبل** التاريخ المحدّد. هذا ما يفسّر إدانته بعنف في رسائله لـ«مقدسي تاريخ 25 أكتوبر.»

وقد أثبتت الأحداث صحّة وجهة نظر لينين فقد بدأت الانتفاضة قبل اجتماع مؤتمر سوفييت عموم روسيا. ليس المؤتمر من **ظفر بالسّلطة** بل سوفييت بتروغراد واللّجنة العسكريّة الثوريّة ثم سلمت السّلطة لمؤتمر السّوفييتات. لذلك فإنّ تحاليل تروتسكي المطوّلة حول أهميّة الشّرعيّة السّوفيتيّة غير ذات موضوع.

حزبنا، إذن، حيوي وقوي وهو يقود الجماهير الثوريّة التّي هاجمت السّلطة البرجوازيّة وحطّمتها. ها قد نصرنا الحقيقة وأعدنا الأمور إلى نصابها.

تروتسكيّة أم لينينيّة؟

ها قد حطمنا الأساطير التّي نشرها تروتسكي وأصدقائه حول ثورة أكتوبر، ضدّ لينين وحول الحزب. إلى ما يرمي تروتسكي من وراء نشر هذه الأساطير حول أكتوبر ومن وراء التحضيرات التّي سبقت محاولته الأخيرة؟ ما هو مغزى وهدف الهجوم الفكري لتروتسكي في وقت يجد فيه الحزب نفسه مثقل الكاهل بالأعمال، ويجب عليه تكريس كلّ قواه للنهوض الاقتصادي، في وقت لا يريد فيه الحزب استئناف نقاش حول مسائل ليست راهنة بالمرّة؟

يصرّح تروتسكي أن كلّ ذلك ضروريا لـ«دراسة أكتوبر». ولكن هل يجب لدراسة أكتوبر أن نهاجم الحزب ولينين؟ أيّ «تاريخ» هذا لأحداث أكتوبر يبدأ وينتهي بالانتقاص من القائد الفعلي لانتفاضة أكتوبر ومن الحزب الذّي أنجز هذه الانتفاضة؟

لا يتعلّق الأمر في الحقيقة بدراسة ثورة أكتوبر. ما هكذا ينبغي أن ندرس أكتوبر ونكتب التاريخ. من البديهي أن لتروتسكي هدفا مغايرا. إنه يسعى مرّة أخرى عن طريق الأعمال الأدبية لخلق شروط ملائمة لإحلال التّروتسكية محلّ اللّينينيّة.

يظن أنه من الضروري أن ينزع عن الحزب وكوادره أمجادهم وذلك من أجل تحقيق النصر للتروتسكية «الايديولوجية البروليتاريّة الوحيدة» وتقديم كلّ ذلك طبعا تحت يافطة اللّينينيّة!

للتروتسكية ثلاثة خصائص مميّزة تجعلها متعارضة بصورة مطلقة مع اللّينينيّة:

أوّلا. التّروتسكية هي نظريّة الثّورة الدّائمة، و«الثّورة الدّائمة» بالمفهوم التروتسكي هي الثّورة بدون اعتبار الفلّاحين الصّغار كقوّة ثوريّة. الثّورة الدّائمة هي، إذا استعملنا تعبير لينين، هي «القفز» على الحركة الفلاحيّة أو «اللعب بمسألة الظفر بالسّلطة». إن ثورة من هذا القبيل ستنهار حتما لأنها تحرم البروليتاريا الروسيّة من حليفها المتمثل في صغار الفلّاحين. لذلك ناضلت اللّينينيّة منذ 1905 ضدّ التّروتسكية.

كيف ينظر تروتسكي للينينية في نضالها ذاك؟ إنه يعتبرها نظريّة تحتوي على «خصائص معادية للثّورة» (تروتسكي، «1905»). ولماذا يدين تروتسكي اللّينينيّة إلى هذه الدرجة؟

لأن اللّينينيّة دافعت دوما عن فكرة الدكتاتوريّة البروليتاريّة و**الفلاحيّة**. لكن تروتسكي لا يقف عند هذا الحدّ، كتب ما يلي:

«إن كلّ بناء اللّينينيّة قائم حاليا على الأكاذيب والتزييف ويحمل في طياته بذور انهياره!» (رسالة تروتسكي إلى تشيدزة، 25 فيفري 1913).

كما ترون، نحن إزاء خطين متناقضين كليّا.

ثانيا. التّروتسكية تعني الرّيبة من الحزب البُلشفي، من صلابته الهيكليّة وعدائه المطلق للعناصر الانتهازيّة. تعني التّروتسكية في ميدان التنظيم نظريّة التّعايش بين الثّوريين والانتهازيين، التّعايش مع جميع المجموعات والكتل التّي تعجّ بالانتهازيّين داخل الحزب على أساس الوحدة المطلقة. تعرفون بالتّأكيد تاريخ «حلف أوت» لصاحبه الرّفيق تروتسكي الذّي جمع أنصارا لمارتوف وعناصر من الأوتزوفستيين (أنصار مقاطعة الدوما) والتّصفويين والتروتسكيين مكوّنا بذلك حزبا «نموذجيّا». ومن المعروف أيضا أن هذا الحزب متعدّد الألوان كان يهدف إلى القضاء على الحزب البُلشفي. فيما كانت «خلافاتنا» آنذاك؟ لقد اعتبرت اللّينينيّة أنّ القضاء على «حلف أوت» هو الضمانة لتطوّر الحزب البروليتاري فيما اعتبرت التّروتسكية هذا الحلف بمثابة القاعدة «الحقيقية» للحزب.

هنا أيضا، كما ترون، خطان متناقضان.

ثالثا. التّروتسكية تعني الارتياب من قادة البُلشفيّة ومحاولة تشويههم. لا أعرف في الحزب تيارا يمكن مقارنته بالتّروتسكية من حيث الرغبة في تشويه قادة اللّينينيّة والهياكل المركزيّة للحزب. قديما كان تروتسكي يصف لينين بـ«مستغلّ محترف لكلّ ما هو متخلف في الحركة العماليّة الروسيّة».

كيف حصل أنّ تروتسكي وهو مثقل الكاهل بهذا العبء الثّقيل، موجود خلال حركة أكتوبر ضمن صفوف البلاشفة؟ لقد تخلّص من ذلك العبء وألقاه بين الهوامش. بدون هذه «العملية» الصغيرة، لم يكن أيّ تعاون جدّي مع الرّفيق تروتسكي ممكنا. فقد ألقي بنظريّة «حلف أوت» أيّ نظريّة الوحدة مع المناشفة إلى سلة المهملات منذ ما قبل الثّورة. وبالفعل، أية وحدة يمكن أن تقع بين البلاشفة والمناشفة عشية النّضال المسلّح؟

نفس المصير البائس لاقته نظريّة الثّورة الدّائمة، ما من بُلشفي واحد فكّر في أخذ السّلطة مباشرة غداة ثورة فيفري. كان تروتسكي يعلم أن البلاشفة لن يسمحوا له «باللعب بالاستيلاء على السّلطة» كما يقول لينين فلم يكن أمام تروتسكي من خيار سوى الانضمام إلى سياسة البلاشفة في مسألة الظفر بتأييد السّوفييتات والفلّاحين. أمّا فيما يخصّ الخاصيّة الثّالثة (ارتيابه من القادة البلاشفة) فقد اضطرّ تروتسكي للتّخلي عنها بعد أن عاين انهيار نظرياته.

إنّ التّعاون الطويل بين اللينينيّين والرّفيق تروتسكي لم يكن ممكنا إلّا بشرط تخلّي تروتسكي كليّا عن أخطائه السّابقة وانضمامه دون أفكار مسبقة إلى اللّينينيّة. لكنّ تروتسكي الذّي يستعرض «دروس أُكتوبر» نسي إبراز هذا المعطى.

التّروتسكية الجديدة ليست مواصلة تامّة للتروتسكية القديمة فقد تغيّر غلافها وفقدت أجمل ريشها، لقد صارت ودودة أكثر ومعتدلة أكثر مقارنة بالتّروتسكية القديمة رغم محافظتها على نفس السّمات الجوهريّة. لا تحارب التّروتسكية الجديدة بصورة مكشوفة اللّينينيّة فهي تفضّل الاشتغال تحت ظلّها لأنّها ضعيفة. ولا يمكن أن ننسب لمحض الصّدفة صعود التّروتسكية إلى المسرح بعد أن فقدنا لينين. ما كان للتروتسكية أن تغامر بهذه الخطوة الخطرة لو كان لينين ما يزال بيننا.

ماهي الخطوط المميّزة للتروتسكيّة الجديدة

1. مسألة الثّورة الدّائمة. لا ترى التروتسكية الجديدة حاجة في الدّفاع بصورة مكشوفة عن نظريّة الثّورة الدّائمة بل تكتفي بتسجيل أنّ ثورة أُكتوبر قد أكّدت كليّا فكرة الثّورة الدّائمة وتستخلص النّتيجة التّالية: ليست اللّينينيّة صحيحة ومقبولة إلاّ في الجزء الذّي نشأ بعد الحرب وفي فترة ثورة أُكتوبر، أماّ لينينية ما قبل الحرب وما قبل الثّورة فهي غير صحيحة. وهكذا تقسّم اللّينينيّة إلى جزئين منفصلين: لينينيّة ما قبل الحرب واللّينينيّة الجديدة التّي تعتزم التّروتسكية تطويعها لأفكارها الخاصّة.

ولكن نحن نقول أن اللّينينيّة ليست نظريّة انتقائية مكونة من عدة أجزاء، بل هي نظريّة غير قابلة للتجزئة نشأت في 1903 واغتنت بتجارب ثلاثة ثورات وهي الآن نظريّة نضال الطبقة العمالية العالمية. يقول لينين:

> وجدت البُلشفيّة كتيّار في الحياة السّياسية وكحزب منذ 1903. يجب أن ننظر لتاريخ البُلشفيّة ككلّ مع جميع المراحل التّي مرّت بها لكي نستطيع

أن نفهم كيف تمكّنت من أن تخلق وتصون، في أكثر الظروف صعوبة، هذا الانضباط الحديدي الذّي بدونه ما كان للطبقة العماليّة أن تنتصر.

(لينين: مرض «اليساريّة» الطّفولي في الشّيوعيّة).

البُلشفيّة واللّينينيّة متطابقان، هما اسمان مختلفان لنفس الشّيء. لذلك فإنّ نظريّة تقسيم اللّينينيّة إلى قسمين ترمي إلى القضاء على اللّينينيّة.

لا حاجة للقول بأن هذه النظريّة الغريبة لا تصلح للحزب في شيء.

ثانيا. النظريّة التّروتسكية الجديدة حول الحزب. سعت التّروتسكية القديمة إلى تخريب الحزب البُلشفي عن طريق نظريّة (وممارسة) الوحدة مع المنشفيك المفلسة والتّي لا نريد حتّى تذكرها. وتحاول التّروتسكية الجديدة تخريب الحزب عن طريق نظريّة جديدة «ديمقراطية» تتمثل في معارضة الكوادر البُلشفيّة القدامى بالجيل الجديد في الحزب.

تقسّم التّروتسكية تاريخ حزبنا إلى فترتين مختلفتين من حيث القيمة: فترة ما قبل وفترة ما بعد أكتوبر. تعتبر أن فترة ما قبل أكتوبر تنتمي إلى «ما قبل التاريخ»، هي مجرد فترة تحضيرية، أما التاريخ الحقيقي للحزب فلا يبدأ إلا بعد أكتوبر. من جهة، نجد الكوادر «القدامى»، «ما قبل التاريخ»، ومن الجهة الأخرى نجد الحزب الجديد الحقيقي والحزب «التاريخي». هل من حاجة لإثبات أن هذا الرسم الطريف يهدف إلى تخريب الوحدة بين الكوادر القديمة والجديدة للحزب؟

لا حاجة للقول بأن هذه النظريّة الغريبة لا تصلح للحزب في شيء.

ثالثا. التّروتسكية وقادة البُلشفيّة. سعت التّروتسكية القديمة إلى الانتقاص من لينين دون الخوف تقريبا من نتائج مسعاها أما التّروتسكية الجديدة فتواصل مسعاها مع بعض الحذر، تحاول استئناف تمشي التّروتسكية القديمة مع كيل المديح للينين. وأعتقد أنه من المفيد تقديم بعض الأمثلة.

يعرف الحزب في لينين ذلك الثّوري الذّي لا يتراجع أمام أيّ شيء، ولكنه يعرف أيضا أنّ لينين كان حذرا ولم يكن يحبّ التطرف المبالغ فيه. فقد كان يحارب بحزم أولئك الذّين يمارسون القمع إلى درجة مبالغ فيها مثل تروتسكي. يتحدّث تروتسكي عن هذا الموضوع في كتابه عن لينين. نستخلص من حديثه أن لينين لم يحارب بجديّة المبالغات في القمع وأنّه

كان ينتهز «كلّ فرصة سانحة للتأكيد على ضرورة القمع» (ص 104، الطبعة الروسيّة). يتّضح من عرض الرّفيق تروتسكي أنّ لينين كان أكثر البلاشفة دمويّة. أيّ حاجة دفعت تروتسكي لإبراز لينين في هذه الصّورة المشوّهة التّي لا تشبه مطلقا الصّورة الحقيقيّة؟

يعرف الحزب في لينين ذلك الرّفيق النموذجي الذّي لا يحبّذ حلّ المسائل بصورة منفردة بدون نقاش معمّق واستشارة مسبقة للهيئة المختصّة. يتحدّث تروتسكي في كتابه أيضا عن هذه الميزة للينين لكن الصورة التّي يرسمها عنه أقرب إلى رجل الدين الصيني الذّي يحلّ المشاكل الأكثر أهميّة في الجو الصامت لمكتب عمله انطلاقا من تعاليم السماء.

هل تريدون معرفة كيف قرر حزبنا حلّ المجلس التأسيسي؟ استمعوا إلى تروتسكي:

«قال لينين: يجب طبعا حلّ المجلس التأسيسي، لكن ماذا نفعل مع الاشتراكيين الثّوريين اليساريين؟

العجوز ناتونسون طمأننا ونصحنا قائلا: انسفوا المجلس التأسيسي مباشرة بعد تبادل أولى الخطب.

برافو! صاح لينين فرحا: ما هو صحيح صحيحا، لكن ماذا ستقول جماعتك؟

البعض متردّدون لكنهم سيقبلون الأمر المحتوم في نهاية الأمر» (تروتسكي: حول لينين).

هل تريدون معرفة كيف اتّخذ حزبنا القرار حول المجلس الأعلى للحرب؟ استمعوا أيضا إلى تروتسكي:

«كنت أقول لفلاديمير اليتش كلما أذهب إلى هيئة الأركان: بدون مساهمة مختصين جدّيين وذوي خبرة لن نخرج أبدا من الفوضى.

- أجاب: صحيح ولكنهم سيقومون بخيانتنا بالتّأكيد.

- قلت: سنلحق بكلّ منهم مفتش

- قال: يستحسن أن نلحق بكلّ منهم مفتشين إثنين، لكن يجب أن يكونوا مفتشين نشيطين ولا ينقصنا ذلك.

وهكذا قمت بإرساء أسس المجلس الأعلى للحرب». (تروتسكي: حول لينين).

هكذا يكتب الرّفيق تروتسكي التاريخ.

لماذا يروي لنا الرّفيق تروتسكي هذه الأساطير الشّرقية؟ لكي يرفع من مكانة لينين: يصعب علينا تصديقه.

يعرف الحزب لينين ويقدّره لكونه أعظم ماركسي في عصرنا وأعمق المفكّرين وأكثر الثّوريين خبرة وأنّه لا يمكن أن نشكّ في وجود أدنى ميل لديه نحو البلانكية. تروتسكي يرسم لنا لينين ذلك البلانكي الذّي يشير على الحزب في أكتوبر بأن «يستولي على السّلطة بقواه الخاصّة وباستقلال عن السّوفييت ودون علمه». سبق لي أن أوضحت أن هذه القصّة لا تحتوي على ذرة من الحقيقة.

ما هو السّبب الذّي جعل تروتسكي يتكبّد عناء رواية هذا التزييف الفظيع؟ ألسنا إزاء محاولة للانتقاص من لينين؟

تلك هي العلامات المميّزة للتروتسكية الجديدة.

فيما يتمثل خطر التّروتسكية الجديدة؟ إنه يتمثل في أن التّروتسكية بحكم إيديولوجيتها لها كلّ الحظوظ لكي تصبح نقطة تجميع الشرائح غير البروليتاريّة التّي لا تريد سوى إضعاف الدكتاتوريّة البروليتاريّة وتفسخها.

ستسألونني: وماذا بعد؟ ما هي واجبات الحزب القادمة إزاء الهجوم الفكري الجديد للرفيق تروتسكي؟

لقد تحرّكت التّروتسكية لإزاحة البُلشفيّة ونسف قواعدها ومن واجب الحزب دفن التّروتسكية كإيديولوجية. سمعنا حديثا عن عقوبات ضدّ المعارضة وخطر الانقسام. هذا هراء أيها الرّفاق، حزبنا قوي وحازم ولا يقبل أيّ انقسام. أمّا العقوبات فأنا أعارضها صراحة، لسنا في حاجة الآن للعقوبات بل إلى عمل إيديولوجي شامل ضدّ التّروتسكية المنبعثة من جديد.

لم نرغب في هذا الجدل الفكري لكن التّروتسكية فرضته علينا بنشاطها المعادي لللينينيّة. إذن، نحن مستعدّون أيها الرّفاق.

نشر هذه الترجمة لأوّل مرّة في:
الحوار المتمدن، عدد 3960، 2013/1/2.

أكتوبر

ونظرية "الثورة الدائمة"

عند تروتسكي

ديسمبر 1924

لثورة أكتوبر خاصيتان مميزتان يجب أن نعرفهما على نحو عميق حتى نفهم مغزى هذه الثورة وأهميتها التاريخية. فما هما هاتان الخاصيتان المميزتان؟ أولاهما هي واقع أن الدكتاتورية البروليتارية كانت قد قامت عندنا على قاعدة التحالف بين البروليتاريا وجماهير الفلاحين الكادحة التي تقودها. أما ثاني خصائص ثورة أكتوبر فهي أن دكتاتورية البروليتاريا في بلادنا إنما هي نتيجة انتصار الاشتراكية في بلد ضعيف التطور الرأسمالي في الوقت الذي كان قد بلغ فيه التطور الرأسمالي درجة عالية في البلدان الأخرى. وإن لمن الطبيعي أن لثورة أكتوبر خصائص أخرى أيضا. لكن ما أتيت على إبرازهما إنما هما الأكثر أهمية، لأنهما تعبران عن جوهر ثورة أكتوبر نفسه وتبينان في ذات الوقت ما لنظرية "الثورة الدائمة" من طابع انتهازي.

لننظر في هاتين الخاصيتين بعجالة.

إن كسب الجماهير الكادحة البرجوازية الصغيرة في المدن والأرياف هو أهم قضية في الثورة العمالية. فمصير الثورة ونجاحات الدكتاتورية العمالية إنما يتوقفان على موقف الجماهير الكادحة غير العمالية في المدن والأرياف. إنها لمسألة حيوية عند البروليتاريا أن تتمكن من أن تحول تلك الجماهير إلى جيش احتياطي في نضالها في سبيل السلطة وألا تدع البرجوازية تنفرد بها. كانت ثورتا 1848 و1871 في فرنسا قد هزمتا خصوصا لأن الفلاحين كانوا قد حاربوا إلى جانب البرجوازية. أما ثورة أكتوبر، على عكس ذلك، كانت قد انتصرت لأنها عرفت كيف تكسب الفلاحين لصالح قضية البروليتاريا، ولأن البروليتاريا برهنت على أنها القوة الوحيدة القائدة لجماهير الكادحين في المدن والأرياف.

إن أي شخص لم يفهم هذا الأمر، لن يفهم أبدا لا طابع ثورة أكتوبر وطابع الدكتاتورية البروليتارية، ولا الخصائص المميزة لسياسة السلطة البروليتارية الداخلية.

لا يمارس الدكتاتورية البروليتارية فقط فئة عليا قائدة يختارها "رجل استراتيجي متمرس" بكل عناية ويرتكز "بحذر" على هذه الفئة أو تلك من السكان. إن الدكتاتورية البروليتارية هي تحالف طبقي بين البروليتاريا وجماهير الفلاحين الكادحين قصد الإطاحة بالرأسمالية وبلوغ انتصار الاشتراكية النهائي، طبعا، شرط أن يكون دور القائد في هذا التحالف للبروليتاريا.

فلا يتعلق الأمر هنا بانقاص من أهمية الحركة الفلاحية أو الرفع منها "قليلا" بالنسبة للثورة، مثلما يعبر عن ذلك بعض المدافعين عن "الثورة الدائمة" بلغة ديبلوماسية عالية، وإنما يتعلق الأمر بطابع الدولة الجديدة البروليتارية نفسه التي نتجت عن ثورة أكتوبر، وأسس الدكتاتورية البروليتارية نفسها.

يقول لينين:

> «الدكتاتورية البروليتارية هي الشكل الأساسي للتحالف الطبقي بين البروليتاريا، وهي طليعة الطبقات الكادحة، وبين الفئات الكادحة العديدة غير البروليتارية (البرجوازيون الصغار، صغار المالكين، الفلاحون، المثقفون، الخ)، وهو تحالف عقد قصد الإطاحة برأس المال تماما، وتحطيم

مقاومة البرجوازية وهزم محاولات إعادتها، تحالف هدفه تركيز الاشتراكية وتثبيتها على نحو صلب» (لينين، الأعمال الكاملة، الطبعة الروسية، مجلد 17، ص 240.)

كما عبر لينين عن رأيه في هذا الموضوع كما يلي:

«إن دكتاتورية البروليتاريا، إذا ما أردنا أن ننقل هذه العبارة العلمية اللاتينية إلى لغة أبسط، سيكون معناها: إن طبقة واحدة معينة، وهي طبقة البروليتاريين الصناعيين، يمكنها أن تقود كل الجماهير الشغيلة والمستغَلة إلى النضال، وهو نضال سيكون هدفه الإطاحة بنير رأس المال، وتحصين الانتصار، وخلق مجتمع جديد اشتراكي ومحو التفاوت الطبقي كليا.»

(لينين، الأعمال الكاملة، الطبعة الروسية، المجلد 13، ص 248.)

تلك هي النظرية اللينينية عن الدكتاتورية العمالية. وإن إحدى خصائص ثورة أكتوبر هي، على وجه التحديد، أنها كانت تطبيقا كلاسيكي للنظرية اللينينية عن الدكتاتورية البروليتارية.

بعض الرفاق يرون أن هذه النظرية "روسية" خالصة، ولا تطبق إلا في روسيا. وهذا خاطئ كليا. فعندما كان لينين يتحدث عن الجماهير الكادحة غير البروليتارية التي تقودها البروليتاريا، لم يكن يفكر في الفلاحين الروس فحسب، بل أيضا الفئات الكادحة في البلدان المكونة لأطراف الاتحاد السوفييتي، والتي كانت من قبل مستعمرات روسية. كان لينين يؤكد دائما على أن البروليتاريا لن تنتصر دون تحالف مع تلك الجماهير في مختلف القوميات. وفي مقاله في المسألة القومية وفي خطاباته في المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني، كان لينين قد أكد عديد المرات أن الثورة العالمية مستحيلة دون تحالف ثوري بين البروليتاريا في البلدان المتقدمة والشعوب المضطهَدة في المستعمرات.

ألا تتكون الشعوب المستعمرة من جماهير كادحة مضطهَدة، وفي مقدمتها الفلاحون؟ أليست قضية تحرر المستعمرات من حيث جوهرها بالذات هي قضية تحرر الجماهير الكادحة غير البروليتارية من نير رأس المال البنكي؟

ينتج عن ذلك أن النظرية اللينينية عن الدكتاتورية البروليتارية، أبعد من تكون نظرية "روسية"، بل على العكس، تطبق في جميع البلدان. فالبلشفية ليست ظاهرة روسية حصرا، وإنما «البلشفية أنموذج في التكتيك يصلح للجميع» كما قال لينين.

ذلك ما يميز الخاصية الأولى في ثورة أكتوبر. فكيف تتوافق ونظرية "الثورة الدائمة" عند الرفيق تروتسكي ؟

سوف لن نتحدث عن وجهة نظر الرفيق تروتسكي عام 1905، حين، نسي أن يأخذ بعين الاعتبار الفلاحين كقوة ثورية وأطلق شعار: ليسقط القيصر، تحيا الحكومة العمالية، شعار ثورة لن يكون فيها للفلاحين أية مشاركة. حتى الرفيق راديك، هذا المدافع الدبلوماسي عن "الثورة الدائمة"، يجد نفسه مضطرا الآن إلى الاعتراف بأن "الثورة الدائمة" كانت في عام 1905 "قفزة في الهواء"، أي لا توافق الواقع. وإنه لواضح للجميع الآن أن لا فائدة من تكرار تلك "القفزات في الهواء".

وسوف لن نعود أيضا إلى وجهة نظر تروتسكي، أثناء الحرب، مثلا عام 1915، المحررة في مقال عنوانه "النضال في سبيل السلطة"، ففي هذا المقال، وبعد أن بين "أننا نعيش في عصر الإمبريالية"، هذا العصر الذي "لا يقوم فيه التناقض بين الأمة البرجوازية والنظام وإنما بين البروليتاريا والأمة البرجوازية". واستنتج حينها أن دور الفلاحين الثوري قد تضاءل، وأن انتزاع ملكية الأرض لم يعد له من الأهمية ما كان له من قبل. ومن المعلوم أن لينين، حين رد على هذا المقال، اتهم تروتسكي، «بأنه ينفي دور الفلاحين»، وأعلن أن «تروتسكي يقترب في الحقيقة من الساسة الليبراليين العماليين في روسيا، الذين "بنفيهم" لدور الفلاحين إنما هم لا يخونون إلا إرادتهم التعيسة في إيقاظ المشاعر الثورية عند الفلاحين.» (لينين، ضد التيار، ص 297)

لننظر فيما كتبه تروتسكي في هذا الموضوع في فترة تقوت فيها دكتاتورية البروليتاريا أكثر. فقد بلغ به الأمر أن قارن نظريته عن "الثورة الدائمة" بالواقع، وتصحيح أخطائه. فقد عبر عام 1922 في مقدمته لكتابه: 1905، عن "الثورة الدائمة" بالعبارات التالية:

"في الفترة الممتدة من 22 (9) جانفي إلى الإضراب العام في أكتوبر 1905، على وجه التحديد، هي الفترة التي كان الكاتب قد كون فيها وجهة نظره حول طابع تطور الثورة في

روسيا، وجهة النظر المعروفة باسم نظرية "الثورة الدائمة". هذا المصطلح المعرفي يعبر عن فكرة مفادها أن الثورة الروسية لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تكتفي ببلوغ الأهداف البرجوازية المباشرة التي تطرحها. فلا يمكن للثورة أن تنجز مهماتها البرجوازية المباشرة إلا باستلام البروليتاريا السلطة. لكن إذ تستولي البروليتاريا على السلطة فلن تحافظ على إطارها البرجوازي. بالعكس، فحتى تحافظ الطليعة العمالية على مكتسباتها، وجب عليها، فور بلوغها السلطة، أن تهاجم، جذريا، لا الملكية الإقطاعية فحسب، بل أيضا الملكية البرجوازية. سينتج عن ذاك نزاعات بالضرورة، لا مع كل تجمعات البرجوازية التي ساندت البروليتاريا في بداية نضالها الثوري فحسب، بل أيضا مع جماهير الفلاحين الغفيرة التي بفضل سندها كسبت البروليتاريا السلطة. إن التناحرات المتأتية من واقع أن الحكومة العمالية تمارس السلطة في بلد متأخر، أغلبية السكان الساحقة فيه تتكون من الفلاحين، لا تختفي إلا بفضل سند عوامل دولية، على نطاق الثورة العمالية العالمية."

ليس أمامنا إلا أن نقارن هذه الأسطر بالفقرات الواردة من أعمال لينين، حتى تتبين لنا الهوة العميقة التي تفصل النظرية اللينينية حول الدكتاتورية العمالية عن نظرية "الثورة الدائمة" عند الرفيق تروتسكي.

يعلن لينين أن تحالف البروليتاريا مع جماهير الفلاحين الكادحين هو قاعدة الدكتاتورية العمالية. أما تروتسكي فيتحدث عن نزاع بين الطليعة العمالية و"جماهير الفلاحين الغفيرة".

حسب لينين، تستمد الثورة قواها، بالأخص، من جماهير العمال والفلاحين الروس. أما تروتسكي فيقول لنا العكس، فلا يمكن للثورة أن تجد القوات الضرورية إلا "في نطاق الثورة العمالية العالمية". لكن ما الذي سيقع لو أن الثورة العالمية تأخرت في سيرها؟ تروتسكي لا يرى أي حل لهذه الحالة، لأن التناحرات التي تسم موقع الحكومة العمالية لن تختفي إلا "على نطاق الثورة العمالية العالمية". لذا، ما من أفق ينفتح أمام ثورتنا سوى أفقا واحدا: أن نضمحل ببطء وقد التهمتنا التناحرات الداخلية ونحن ننتظر فجر الثورة العالمية.

كيف يتصور لينين الدكتاتورية العمالية؟

سلطة سياسية تستند إلى تحالف البروليتاريا وجماهير الفلاحين الكادحين «قصد الإطاحة بالرأسمالية وبلوغ انتصار الاشتراكية النهائي».

وكيف يتصور تروتسكي الدكتاتورية العمالية؟

سلطة تدخل أساسا "في نزاع مع جماهير الفلاحين الغفيرة"، وتسعى إلى القضاء على "تناحراتها الداخلية" فقط "في نطاق الثورة العمالية العالمية"!

بما تتميز نظرية "الثورة الدائمة" هذه عن النظرية المنشفية التي هي إنكار الدكتاتورية العمالية؟

حقا، ما من شيء.

إن الشكوك في هذا الأمر غير مقبولة. فنظرية "الثورة الدائمة" إنما هي متأتية من الانتقاص من دور الحركة الفلاحية الثوري. والانتقاص من أهمية الحركة الفلاحية على هذا النحو إنما ينتج عنه منطقيا إنكار النظرية اللينينية عن الدكتاتورية العمالية.

نظرية "الثورة الدائمة" عند الرفيق تروتسكي هي ضرب من النظرية المنشفية.

ذلك ما تعلق بالخاصية الأولى لثورة أكتوبر.

فما هي مميزات الخاصية الثانية لأكتوبر؟

كان لينين، بدراسته الإمبرياليّة، وبالأخص، خلال فترة الحرب، قد انتهى إلى اكتشاف قانون التطور الاقتصادي والسياسي غير المتساوي في البلدان الرأسمالية. إنه تطور يحدث بقفزات. فحسب هذا القانون، لا تتطور المؤسسات والتروستات ومختلف فروع الصناعة وأيضا مختلف البلدان، وفق درجة متساوية كأنما عدلت سلفا، ولا على نحو يكون فيه تروست واحد أو فرع صناعي واحد أو بلدا واحدا بأكمله، يتقدم على الدوام، في حين تبقى التروستات الأخرى أو البلدان الأخرى متأخرة، وتفصل بينها مسافات منتظمة. إنما التقدم يحدث بقفزات. فبعض البلدان تتقدم سريعا جدا، متفادية مراحل. وبلدان أخرى تمكث على مستواها. إن نزوع البلدان المتأخرة إلى الدفاع عن مواقعها القديمة، وهو نزوع "طبيعي مطلقا"، ونزوع البلدان التي تجاوزت غيرها إلى كسب مواقع جديدة، وهو نزوع لا يقل "طبيعية" عن الأول، إنما يسبب حتما نزاعا عسكريا بين البلدان الرأسمالية. وهذا مثلا ما كان عليه حال ألمانيا، لما كانت، منذ خمسين سنة مضت، لا تزال بلدا متأخرا مقارنة بفرنسا وانجلترا، أو اليابان مقارنة بروسيا. فمن المعلوم أن ألمانيا واليابان كانا قد أنجزا تقدما كبيرا في مطلع القرن العشرين. فتجاوزت ألمانيا فرنسا وشرعت تنافس انجلترا في السوق العالمية

منافسة رهيبة. واليابان يتقدم أيضا على حساب روسيا. فحرب 1914 العالمية الإمبرياليّة كانت قد نشأت، كما هو معلوم، من تلك التناحرات.

ينطلق القانون الذي ذكرنا من النقاط التالية:

1) «لقد أصبحت الرأسمالية نظاما عالميا من الاضطهاد الاستعماري والهيمنة المالية مسلط على الأغلبية الساحقة من سكان جميع البلدان تمارسه مجموعة صغيرة من البلدان المتقدمة.» (انظر: مقدمة الطبعة الفرنسية لكتاب: الإمبرياليّة أعلى مراحل الرأسمالية)

2) «تقتسم "الغنيمة" بين اثنان أو ثلاثة قراصنة عالميين اقوياء، مدججين بالسلاح (أمريكا، انجلترا، اليابان)، يجرون جميع البلدان في الحرب التي يشنونها لترتيب اقتسام "غنيمتهم". (نفس المرجع)

3) إن كلا من اشتداد التناحرات في النظام العالمي للهيمنة المالية والنزاعات العسكرية يجعل من السهل على الثورة أن تهدد جبهة الإمبرياليّة العالمية وأن تخترقها في بلدان مختلفة.

4) كل الاحتمالات تقود إلى أن جبهة الإمبرياليّة ستخترق في البلد الذي هي فيه أضعف، أي حيث الإمبرياليّة على أضعف ارتكاز وحيث تطور الثورة أسهل.

5) لذا، فإن انتصار الاشتراكية ممكن ومحتمل حتى في بلد ضعيف التطور من جهة التطور الرأسمالي ورغم كون الرأسمالية أكثر تقدما في بلدان أخرى.

تلك هي أسس النظرية اللينينية عن الدكتاتورية العمالية بإيجاز. ففيما تقوم الخاصية الثانية في ثورة أكتوبر؟ إنها تقوم في كونها انموذج للتطبيق العملي للنظرية اللينينية عن الدكتاتورية العمالية.

إن أي كان لم يفهم هذه الخاصية المميزة لثورة أكتوبر لن يفهم أبدا طابع هذه الثورة العالمي، قوتها العالمية العظيمة، وسياستها الخارجية الخاصة.

يقول لينين:

> «التطور الاقتصادي والسياسي غير المتساوي هو قانون في الرأسمالية لا شك فيه. وينتج عنه أن انتصار الاشتراكية ممكن في البداية في عدد صغير من البلدان. ربما في بلد واحد. وطبقة العمال المنتصرة في ذلك البلد، بعد أن تجرد الرأسمالي من الملكية وتنظم إنتاجها الاشتراكي، يجب أن تنتصب ضد باقي العالم الرأسمالي، فتجر الطبقات المضطهَدة في البلدان

الأخرى إلى الانتفاض ضد رأسمالييهم، وأن تلجأ، إذا ما لزم الأمر، إلى استخدام حتى السلاح ضد الطبقات اللصوصية ودولها.» لأن «اتحادا اشتراكيا حرا بين الأمم مستحيل دون نضال الجمهوريات الاشتراكية نضالا حادا وعنيفا ضد الدول الأخرى.» (لينين: ضد التيار، ص 125)

يزعم انتهازيو جميع البلدان أن الثورة لا يمكنها أن تندلع إلا في البلدان الصناعية المتقدمة جدا. (إن سلمنا بأن نظرياتهم تقر بأن الثورة يمكن أن تندلع في مكان ما). إنهم يدافعون عن أنه كلما كان البلد متطورا من الناحية الصناعية إلا وزادت فيه حظوظ انتصار الاشتراكية كبرا. وهم لا يقبلون فكرة انتصار الاشتراكية في بلد واحد، وخاصة إذا ما كان ذلك البلد ضعيف التطور من الناحية الرأسمالية. كان لينين قد عارض، منذ زمن الحرب، وبالاعتماد على قانون تطور البلدان الإمبرياليّة غير المتساوي، النظريات الانتهازية بنظريته عن الثورة العمالية التي انتصار الاشتراكية وفقها ممكن حتى في بلد ضعيف التطور الرأسمالي نسبيا.

لقد أكدت ثورة أكتوبر على نحو تام صحة النظرية اللينينية عن الثورة العمالية.

كيف يكون التوافق بين النظرية اللينينية عن الثورة العمالية ونظرية "الثورة الدائمة" عند الرفيق تروتسكي؟

كتب تروتسكي في كراسه: ثورتنا، الذي صدر عام 1906 ما يلي:

"لا يمكن للطبقة العمالية الروسية أن تحتفظ بالسلطة وأن تحول هيمنتها المؤقتة إلى دكتاتورية اشتراكية دائمة دون سند مباشر من البروليتاريا الأوروبية. ولا يجوز أي شك في هذا الموضوع." (تروتسكي: ثورتنا، طبعة روسية، ص 278)

يقول تروتسكي في هذا المقتطف أن انتصار الاشتراكية غير ممكن في بلد، وهو روسيا في هذا الحال، دون أن تكون البروليتاريا الأوروبية قد استولت على السلطة.

ألهذه "النظرية" ما تشترك فيه مع ما علمنا إياه لينين عن انتصار الاشتراكية الممكن في بلد رأسمالي واحد؟ طبعا، لا.

لنقبل أن كراس تروتسكي سالف الذكر والذي كان قد صدر عام 1906، حين كان من الصعب تحديد طابع ثورتنا، قد تضمن أخطاء غير مقصودة ولا يعبر عن وجهة النظر التي صاغها لاحقا. لنأخذ إذن كراسا آخر لتروتسكي. لنأخذ كراس: برنامج السلم، فقد صدر في

عام 1917، قبل الثورة، وأعاد نشره ضمن كتابه: 1917، الذي صدر في عام 1924. كان تروتسكي، في هذا الكراس، ينتقد النظرية اللينينية عن الثورة العمالية فيما يتعلق بانتصار الاشتراكية في بلد واحد، ويعارضها بشعار "الولايات المتحدة الأوروبية". إن. يؤكد أن انتصار الاشتراكية في بلد واحد مستحيل، إلا إذا ما انتصرت الاشتراكية أيضا في بلدان أوروبا الرئيسية (انجلترا، روسيا، ألمانيا) وألفت لاحقا الولايات المتحدة الأوروبية. فقد أعلن جهرا أن "ثورة مظفرة في روسيا أو إنجلترا أمر مستحيل دون ثورة في ألمانيا، والعكس بالعكس". (تروتسكي: 1917، الأعمال الكاملة، مجلد 3، ص 89، الطبعة الروسية)

يقول تروتسكي:

"إن الاعتراض الوحيد والأقرب من الناحية الواقعية والتاريخية على شعار الولايات المتحدة الأوروبية كان قد صاغته جريدة الاشتراكية-الديمقراطية السويسرية (لسان حال البلاشفة المركزي القديم — ستالين) كما يلي: «التطور الاقتصادي والسياسي غير المتساوي هو قانون في الرأسمالية لا شك فيه". وتستنتج جريدة الاشتراكية-الديمقراطية من ذلك أن انتصار الاشتراكية في بلد واحد ممكن وبالتالي لا يتوقف تركيز الدكتاتورية العمالية في بلد على خلق الولايات المتحدة الأوروبية. أن يكون التطور الرأسمالي في مختلف البلدان غير متساو فذلك لا شك فيه، لكن هل غير المتساوي هذا غير متساو جدا. إنجلترا والنمسا وألمانيا أو فرنسا أليست كلها على نفس المستوى من التطور الرأسمالي. وإذا ما قارناها بإفريقيا وآسيا وجدناها تمثل أوروبا الرأسمالية الناضجة للثورة الاجتماعية. وأما بلدا يخوض نضالا لا يجب أن ينتظر حلا في بلدان أخرى فتلك فكرة أساسية تكرارها مفيد وضروري حتى لا تعوض فكرة العمل الأممي الموازي بفكرة السلبية الأممية. لندشن ولنواصل النضال على النطاق الوطني دون أن ننتظر الآخرين، مقتنعين بأننا، بأن مبادرتنا ستساهم في اندلاع النضال في البلدان الأخرى. فإن لم يحدث ذلك، فلن نرجو من روسيا الثورية أن تقف ندا لأوروبا المحافظة، ولا أن تصمد ألمانيا الاشتراكية منعزلة عن العالم الرأسمالي، وهذا أمر أثبتته التجربة التاريخية والحاسبات التاريخية." (تروتسكي: نفس المرجع، ص 89-90)

إننا نجد أنفسنا من جديد أمامنا نظرية انتصار الاشتراكية في بلدان أوروبا الرئيسية على نحو متزامن، التي تناقض النظرية اللينينية عن الثورة وانتصار الاشتراكية في بلد واحد تناقضا مطلقا. ما من أحد يجادل في أن تكاتف جهود البروليتاريا في عدة بلدان لصالح انتصار

الاشتراكية انتصارا تاما والذود عن الثورة من أية محاولة لإعادة تركيز النظام القديم أمر يفرض نفسه. وما من أحد يجادل في أن ما كان للطبقة العمالية الروسية أن تقف ندا لهجوم عام دون سند قدمته البروليتاريا الأوروبية لثورتنا، تماما كما ما كان للحركة الثورية في الغرب أن تحقق تقدما جد سريعا دون سند الثورة الروسية. ما من أحد يجادل في أننا في حاجة إلى سند. لكن فيما يقوم السند الذي يمكن أن تقدمه البروليتاريا الغربية لثورتنا؟ ألا يمثل ما يبديه عمال أوروبا من تعاطف نحو ثورتنا ومن استعداد لإفشال خطط تدخل الإمبرياليين سندا معلوما ومساعدة جدية؟ أجل، دون شك.

دون سند لا من عمال أوروبا فحسب بل من البلدان المستعمرة أيضا، ستواجه الدكتاتورية العمالية في روسيا أوقات صعبة جدا.

هل أن تعاطف وسند البروليتاريا العالمية، وكذلك قوة جيشنا الأحمر وإرادة عمال روسيا وفلاحيها الدفاع عن وطنهم الاشتراكي هما على قوة كافية لصد الهجمات الإمبرياليّة ولخلق الظروف الضرورية لبناء المجتمع الجديد؟ نعم. وهل سيعظم هذا التعاطف أم سيضعف؟ إنه يتعاظم، دون أدنى شك. وهل نجد أنفسنا في ظروف ملائمة لا لتطوير اقتصادنا الوطني فحسب بل لمساندة عمال أوروبا الغربية والشعوب المضطهَدة في المستعمرات؟ نعم. لقد برهنت على ذلك سبع سنوات من الدكتاتورية العمالية في روسيا. أيمكن أن نشك في أن ما شهده العمل عندنا من نهوض كان قويا؟ لا، لا يمكننا. فما الذي يمكن أن يعنيه تأكيد تروتسكي بأن روسيا الثورية لا يمكنها أن تقف ندا لأوروبا المحافظة؟

إنه يعني:

1) أن تروتسكي لا يدرك قوة ثورتنا.

2) أنه لا يفهم وينتقص من أهمية ما تحظى به ثورتنا من سند معنوي من جانب عمال الغرب وفلاحي الشرق.

3) ليس له فكرة صحيحة عن أزمة الإمبرياليّة.

إن تروتسكي وقد انساق في تيار نقد النظرية اللينينية عن الثورة العمالية كان هزم نفسه بنفسه دون قصد، في كراسه: برنامج السلم، الذي صدر عام 1917، وأعاد نشره عام 1924.

لنأخذ الآن أحدث كتابات تروتسكي. كتبها بعد إنتصار الثورة العمالية في روسيا. كتب تروتسكي في تذييل له للطبعة الجديدة من كراسه: برنامج السلم، التي صدرت عام 1922 ما يلي:

"سيعتقد العديد من قراء كراس: برنامج السلم، أن ما فيه من تكرار تأكيد أن الثورة العمالية سوف لن تبلغ هدفها في إطار وطني كذبته تجربة الخمس سنوات من عمر جمهوريتنا السوفييتية. لكن استنتاجا من ذلك القبيل سيكون غير مدعم. فأن تكون الدولة قد صمدت ضد العالم أجمع، في بلد واحد، هو أكثر ما يقال عنه أنه متأخر، إنما يبرهن على ما للطبقة العمالية من قوة هائلة، وعلى أنها قادرة حقا على أن تصنع المعجزات في بلدان أكثر تقدما وفيها تحضرا أكبر. لقد دافعنا عن دولتنا جيدا سياسيا وعسكريا. لكننا لم نعرف كيفية بناء المجتمع الاشتراكي الذي لم نشرع فيه بعد.

طالما تحافظ البرجوازية على السلطة في البلدان الأوروبية الأخرى سنكون دوما مضطرين، خلال نضالنا ضد الانعزال الاقتصادي، إلى السعي لعقد اتفاقيات مع العالم الرأسمالي. لكننا مقتنعين بأن تلك الاتفاقيات، في أحسن الأحوال، سوف لن تشفي إلا جروحا طفيفة في حياتنا الاقتصادية عوض أن تحدث خطوات معينة إلى الأمام. تماما كما أننا مقتنعين بأن نهوضا حقيقيا في الاقتصاد الاشتراكي في روسيا غير ممكن إلا بعد انتصار البروليتاريا في أهم بلدان أوروبا." (تروتسكي: الأعمال الكاملة، مجلد 3، ص 92-93)

يعارض تروتسكي الحقيقة بهذه الأسطر ويسعى بعناد إلى حماية "الثورة الدائمة" من الانهيار التام. إنه يخبرنا بأننا لم نعرف كيف نخلق مجتمعا اشتراكيا بعد ولم نشرع في ذلك أصلا، رغم كل ما بذلنا من جهود. ويخبرنا بحث تروتسكي أن بعض الناس يؤمنون، عبثا، بـ"الاتفاقيات مع العالم الرأسمالي"، لأن ما من خير يأتي منها. ومهما صنعنا فلن يكون هنالك "نهوض حقيقي في الاقتصاد الاشتراكي" طالما لم "تنتصر البروليتاريا في أهم بلدان أوروبا".

وبما أن الثورة العمالية لم تنتصر بعد في الغرب، فليس للثورة الروسية من أفق سوى أن تضعف أو أن تتفسخ لتتحول إلى دولة برجوازية.

وليس من باب العبث أن يتحدث تروتسكي، منذ سنتين، عن "تفسخ" حزبنا. وليس من باب العبث أن تروتسكي كان قد تنبأ منذ السنة الفارطة "بنهاية" بلادنا.

كيف يمكن لهذه "النظرية" الغريبة أن تتلاءم مع النظرية اللينينية عن «انتصار الاشتراكية في بلد واحد»؟

كيف يمكن لهذا "الأفق" الغريب أن يتلاءم مع أفق لينين الذي يفيد بأن السياسة الاقتصادية الجديدة تمكننا من وسائل «وضع أسس الاقتصاد الاشتراكي»؟

كيف لهذا اليأس "الدائم" أن يتلاءم، مثلا، مع كلمات لينين التالية:

> «لم يعد بناء الاشتراكية مسألة مستقبل بعيد. فلم يعد موضوع دراسات مجردة. ولم يعد من الممكن اعتباره صنما... لقد نقلنا الاشتراكية إلى الحياة اليومية، فهي مهمتنا كل يوم، وواجب عصرنا. اسمحوا لي أن أقول كخلاصة، أن مهما كانت الصعوبات التي تعترضنا في هذه المهمة الجديدة مقارنة بما كان للمهمات القديمة، فإنا سننجزها مهما كان الثمن، ليس غدا، بل في بضع سنوات، حتى تصبح روسيا السياسة الاقتصادية الجديدة روسيا الاشتراكية.» (لينين: الأعمال الكاملة، مجلد 2/18، الطبعة الروسية، ص 108)

كيف لهذا التشاؤم "الدائم" عند تروتسكي أن يتلاءم مع كلمات لينين التالية:

«هل حيازة الدولة على أهم وسائل الإنتاج والسلطة في يد البروليتاريا المتحالفة مع ملايين صغار الفلاحين — ألا يكفي كل ذلك حتى نبني مجتمعا اشتراكيا معتمدين التعاونية قاعدة ولوحدها.» (لينين: حول التعاونيات)

من الواضح أن المفهومات لا يتوافقان. إن "الثورة الدائمة" عند الرفيق تروتسكي هي نقيض النظرية اللينينية عن الثورة العمالية، والعكس بالعكس، فالنظرية اللينينية عن الثورة العمالية هي نقيض نظرية "الثورة الدائمة"

إن انعدام الثقة فيما لثورتنا من قوة وحيوية، وانعدام الثقة فيما للطبقة العمالية الروسية من عظمة وقوة خلاقة هو أصلا أساس نظرية "الثورة الدائمة".

إلى حد الآن لم نتحدث إلا في ناحية واحدة في نظرية "النظرية الدائمة": انعدام الثقة في ما تحويه الحركة الفلاحية من إمكانية ثورية. فحتى نكون على صواب، نريد أن نبين ناحيتها الثانية: انعدام الثقة فيما للطبقة العمالية الروسية من عظمة وقوة خلاقة.

بما تتمايز نظرية الرفيق تروتسكي عن نظرية المنشفية المعروفة والتي تفيد بأن انتصار الاشتراكية في بلد واحد، وبالأخص إذا كان "متأخرا"، أمر مستحيل دون أن تكون الثورة العمالية قد انتصرت في أهم بلدان أوروبا ؟

إذا أردنا الحقيقة، فلا فرق بين النظريتين. إن "الثورة الدائمة" عند تروتسكي هي ضرب من النظرية المنشفية.

لقد سعى بعض الديبلوماسيين السيئين في الآونة الأخيرة إلى الإشارة في صحافتنا ببعض الجهد لتأكيد كيف أن "الثورة الدائمة" متوافقة واللينينية. ويصرحون بأن تلك النظرية قد وقعت البرهنة على عدم قابليتها للتطبيق سنة 1905. ففي ذلك الوقت، كان خطأ تروتسكي يتمثل في أنه ذهب إلى أبعد مما ينبغي، فحاول أن يطبق في ظروف 1905 شيئا ما كان ليطبق في ذلك الوقت. لكن لاحقا، يؤكد دبلوماسيونا، في 1917، حين أصبحت الظروف مهيأة للثورة أصبحت نظرية الرفيق تروتسكي قابلة للتطبيق. وإنه لمن غير الصعب على المرء أن يتنبأ بأن الرفيق راديك هو أكبر أولئك الديبلوماسيين.

ألا تصدع الأذن عندما يسمع المرء منهم جملة كهذه:

"لقد أحدثت الحرب هوة بين الفلاحين الراغبين في استلام الأرض واستتباب السلام، والأحزاب البرجوازية الصغيرة. لقد وضعت الحرب الفلاحين تحت قيادة البروليتاريا وطليعتها: الحزب البلشفي. فما أصبح ممكنا ليس الدكتاتورية التي تمارسها البروليتاريا والفلاحين وإنما دكتاتورية البروليتاريا مستندة على الفلاحين. فما كان روزا لوكسمبورغ وتروتسكي يجادلان به ضد لينين عام 1905 (أي "الثورة الدائمة" — ستالين) كان قد ثبت كمرحلة ثانية من التطور التاريخي." (جريدة الحقيقة، 21 فيفري 1924)

ما من كلمة غير خاطئة. فمن الخطأ القول " فما أصبح ممكنا ليس الدكتاتورية التي تمارسها البروليتاريا والفلاحين، وإنما دكتاتورية البروليتاريا مستندة على الفلاحين". في الحقيقة، ركزت ثورة فيفري 1917 دكتاتورية العمال والفلاحين، ومتصلة بالدكتاتورية البرجوازية بصلات خاصة.

ومن الخطأ القول بأن نظرية "الثورة الدائمة"، والتي يمررها راديك مجازا في صمت، كانت قد صبغت عام 1905 على يدي روزا لوكسمبورغ وتروتسكي. فهذه النظرية كان قد صاغها بارفيس وتروتسكي. والآن وبعد عشرة أشهر من صدور مقاله في جريدة الحقيقة،

يتعافى راديك ويتمسك بضرورة لوم بارفيس على ”الثورة الدائمة“ (أنظر مقاله في بارفيس).
فإذا كان راديك يريد أن يكون على صواب، عليه أن يلوم أيضا تروتسكي الذي كان وبارفيس صاحبا نظرية ”الثورة الدائمة“.

ومن الخطأ القول بأن نظرية ”الثورة الدائمة“، بعد أن تجاوزتها ثورة 1905، قد برهنت على صحتها ”في المرحلة الثانية من التطور التاريخي“، أي في ثورة أكتوبر. بكامل مجرى ثورة أكتوبر كان قد برهن على إفلاس نظرية ”الثورة الدائمة" الكامل وعدم توافقها المطلق مع أسس اللينينية.

ولا يمكن حتى بكلمات جميلة وديبلوماسية سيئة أن نقيم جسرا فوق الهوة التي تفصل بين نظرية ”الثورة الدائمة“ واللينينية.

تلك هي خصائص نظرية ”الثورة الدائمة“ عند الرفيق تروتسكي إذا ما تناولناها من زاوية الخصائص المميزة لثورة أكتوبر.



طابع ثورة أكتوبر العالمي

ليست ثورة أُكتوبر ثورة «في النّطاق القومي» فحسب، بل هي قبل كل شيء ثورة ذات طابع عالمي، كوني، لأنّها شكّلت في التّاريخ العالمي تحوّلا جذريّا، صنعته الإنسانيّة، من العالم القديم، الرّأسمالي، نحو العالم الجديد، الاشتراكي. كانت الثّورات في السّابق تنتهي، عادة، باستبدال مجموعة مستغِلّين بمجموعة مستغِلّين أخرى على رأس الدولة. يتبدّل المستغِلّون ويبقى الاستغلال. كان الأمر على هذا النحو خلال حركات العبيد التّحرّرية. وكان الأمر على هذا النحو في فترة انتفاضات الأقنان. وكان الأمر على هذا النحو في فترة الثّورات «الكبرى» التّي عرفناها في انجلترا وفرنسا وألمانيا. ولا أتحدث في هذا السّياق عن كومونة باريس التّي كانت المحاولة الأولى، المشرّفة والبطوليّة ولكن غير المثمرة، للبروليتاريا لكي تجعل التّاريخ يسير ضد الرّأسماليّة.

تختلف ثورة أُكتوبر عن هذه الثّورات من حيث المبدأ. فهي لا تطرح استبدال شكل استغلال بشكل استغلال آخر، استبدال مجموعة مستغِلّين بمجموعة مستغِلّين أخرى، بل تطرح القضاء على كل استغلال للإنسان من جانب الإنسان والقضاء على كل مجموعات المستغِلّين مهما كانوا وإرساء دكتاتوريّة البروليتاريا، إرساء سلطة الطبقة الأكْثر ثوريّة بين جميع الطبقات المضطهَدة التّي وجدت حتّى اليوم وتنظيم مجتمع جديد، المجتمع الاشتراكي الخالي من الطبقات.

لهذا السبب بالذّات يعتبر انتصار ثورة أُكتوبر تحوّلا جذريّا في تاريخ الإنسانيّة، تحوّلا جذريّا في المصير التّاريخي للرّأسماليّة العالميّة، تحوّلا جذريّا في حركة تحرير البروليتاريا العالميّة، تحوّلا جذريّا في أساليب النضال وأشكال التّنظيم وفي طريقة العيش والعادات وفي ثقافة وإيديولوجيا الجماهير المستغَلّة في العالم بأسره. هنا يكمن السّبب في أنّ ثورة أُكتوبر

ثورة من طراز عالمي، كوني. هنا، أيضا، يكمن سبب التّعاطف العميق إزاء ثورة أكتوبر الذي تبديه الطبقات المضطهَدة في جميع البلدان التّي ترى فيها الضّمانة لخلاصها.

يمكننا الإشارة إلى مجموعة من المسائل الأساسية التّي تبرز تأثير ثورة أكتوبر على تطوير الحركة الثوريّة في العالم كله.

1. لثورة أكتوبر، أولا، هذه الخاصيّة المتمثّلة في اختراق جبهة الإمبرياليّة العالميّة والإطاحة بالبرجوازيّة الإمبرياليّة في أحد أكبر البلدان الرّأسماليّة ومنح السّلطة للبروليتاريا الاشتراكية.

لأول مرة في تاريخ الإنسانيّة، ترتقي طبقة الأجراء، طبقة المسحوقين، طبقة المضطهَدين والمستغَلّين، إلى مرتبة الطبقة السائدة جاذبة إليها، بمثالها، عمال جميع البلدان. يعني ذلك أنّ ثورة أكتوبر قد افتتحت عصرا جديدا، عصر الثّورات البروليتاريّة في بلدان الإمبرياليّة.

لقد انتزعت من كبار المالكين العقاريّين ومن الرّأسماليّين أدوات الإنتاج ووسائله وحوّلتها إلى ملكيّة اجتماعية، وفضحت بذلك أكذوبة الرّأسماليّين الذّين يزعمون أنّ الملكية البرجوازيّة لا يمكن الاستغناء عنها وأنّها مقدّسة وخالدة.

لقد انتزعت السّلطة من البرجوازيّة وحرمتها من الحقوق السّياسية وحطّمت جهاز الدّولة البرجوازي ونقلت السّلطة للسوفييتات، معارضة بذلك البرلمانيّة البرجوازيّة أي الدّيمقراطيّة البرجوازيّة بالسّلطة السّوفييتات الاشتراكية أي الدّيمقراطيّة البروليتاريّة. لقد كان لافارج على حقّ عندما قال منذ 1887 أنّه غداة الثّورة «كل الرّأسماليّين السّابقين سوف يحرمون من الحقوق الانتخابية». وبذلك فضحت ثورة أكتوبر، في نفس الوقت، أكذوبة الاشتراكيين الدّيمقراطيّين الذّين يزعمون أنّ الانتقال السّلمي إلى الاشتراكية عن طريق البرلمانيّة أصبح الآن ممكنا.

لكنّ ثورة أكتوبر لم تتوقّف، ولا يمكنها أن تتوقّف، عند هذا الحدّ. فبعد قضائها على النّظام القديم البرجوازي، شرعت في بناء النّظام الجديد الاشتراكي. إنّ العشر سنوات التّي مرّت من عمر ثورة أكتوبر هي عشر سنوات من بناء الحزب والنقّابات والسّوفييتات والتّعاونيات والمنظّمات الثقّافيّة ووسائل النّقل والصّناعة والجيش الأحمر. إنّ النّجاحات التّي لا جدال فيها للاشتراكية في الاتحاد السوفييتي في مجال البناء، قد بيّنت بجلاء أن البروليتاريا

تستطيع أن تحكم البلد بنجاح بدون البرجوازيّة وضدّ البرجوازيّة، وأنّها تستطيع بناء الصّناعة بنجاح بدون البرجوازيّة وضدّ البرجوازيّة، وأنّها تستطيع قيادة كلّ الاقتصاد الوطني بنجاح بدون البرجوازيّة وضدّ البرجوازيّة، وأنّها تستطيع بناء الاشتراكية بنجاح رغم الحصار الرّأسمالي.

إنّ «النظرية» القديمة القائلة بأنّ المستغَلّين لا يمكنهم الاستغناء عن المستغِلّين، تماما مثل الرّأس وبقية أعضاء الجسم التّي لا يمكنها الاستغناء عن المعدة، لا تعود فقط إلى السناتور الرّوماني القديم مينيوس أغريبا، بل تشكّل هذه «النّظرية» حاليّا حجر الزّاوية لعموم الـ«فلسفة» السّياسيّة عند الاشتراكية الدّيمقراطيّة ولسياستها في التّعاون مع البرجوازيّة الإمبرياليّة بوجه خاصّ. هذه النّظرية التّي أصبحت من المسلّمات، هي الآن أحد أهم العراقيل أمام نشر الرّوح الثوريّة في صفوف بروليتاريا البلدان الرّأسماليّة. وكان من أهمّ نتائج ثورة أكتوبر توجيه ضربة قاتلة لهذه النّظرية الزّائفة.

هل من حاجة بعدُ، لإثبات أنّ هذه النتائج وما شابهها لثورة أكتوبر لم يكن بإمكانها، ولا يمكن لها أن تبقى، دون ممارسة تأثير جدّي على الحركة الثّوريّة للطبقة العماليّة في البلدان الرّأسماليّة؟ إن وقائع يعرفها الجميع، مثل استمرار انتشار الشّيوعيّة في البلدان الرّأسماليّة وتنامي تعاطف عمال جميع البلدان إزاء البروليتاريا في الاتحاد السّوفييتي، وأخيرا تدفّق الوفود العماليّة إلى بلد السّوفييت، كلها تثبت، قطعيا، أنّ البذرة التّي زرعتها ثورة أكتوبر قد بدأت بعد تعطي ثمارها.

2. لقد زعزعت ثورة أكتوبر الإمبرياليّة لا فقط في مراكز هيمنتها بل ضربت كذلك مؤخرة الإمبرياليّة، أطرافها، عن طريق القضاء على هيمنة الإمبرياليّة في البلدان المستعمَرة والتّابعة. بالإطاحة بكبار المالكين العقّاريّين والرّأسماليّين، فككت ثورة أكتوبر سلاسل الاضطهاد القومي والاستعماري وحرّرت جميع الشعوب المضطهَدة دون استثناء التّي كانت تعيش في إطار دولة شاسعة. لا يمكن للبروليتاريا أنْ تتحرّر دون أن تحرّر الشّعوب المضطهَدة. وكانت ميزة ثورة أكتوبر أنّها أنجزت، في إطار الاتحاد السّوفييتي، تلك الثّورات الوطنيّة ضدّ الاستعمار لا تحت راية العداء القومي والنّزاعات بين الأمم، بل تحت راية ثقة متبادلة وتقارب أخوي لعمال وفلاحي الاتحاد السّوفييتي، لا باسم القوميّة بل باسم الأمميّة.

وبسبب أن الثّورات الوطنيّة ضدّ الاستعمار تمت عندنا تحت قيادة البروليتاريا وتحت راية الأمميّة، لهذا السبب بالذّات ارتقت الشّعوب المنسيّة، الشّعوب المستعبَدة، لأوّل مرّة

في تاريخ البشريّة، إلى مرتبة الشّعوب الحرّة فعلا والمتساويّة فعلا، جاذبة بمثالها الحيّ شعوب العالم قاطبة. هذا يعني أنّ ثورة أكتوبر قد دشّنت عصرا جديدا، عصر الثّورات الوطنيّة التّحرّريّة في بلدان العالم المضطهَدة بالتّحالف مع البروليتاريا وتحت قيادتها.

في الماضي، كان «مقبولا» اعتبار العالم منقسما منذ عهد غابر إلى أعراق دنيا وأعراق عليا، إلى سود وبيض، الأوائل غير مؤهّلين للحضارة ومآلهم الخضوع للاستغلال، والآخرين وحدهم أهل الحضارة ومدعوين لاستغلال الأوائل. يجب الآن اعتبار هذه الأسطورة قد تحطمت ووقع نبذها. وكان من أهم نتائج ثورة أكتوبر توجيه ضربة قاتلة لهذه الأسطورة بإثباتها في الواقع أنّ الشّعوب المتحرّرة غير الأوروبيّة التّي سلكت طريق التّطور السّوفيّيتي لا تقل قدرة على تطوير الثقافة والحضارة المتطوّرة حقا عن الشّعوب الأوروبية.

في الماضي، كان «مقبولا» اعتبار طريقة القوميّة البرجوازيّة هي الطّريقة الوحيدة لتحرير الشّعوب المضطهَدة، طريقة تقوم على فصل الأمم بعضها عن بعض، على تقوية العداوات القومية بين الجماهير الكادحة في مختلف الأمم. الآن يجب اعتبار هذه الأسطورة قد دُحضت. إن إحدى أهم نتائج ثورة أكتوبر هي توجيه ضربة قاتلة لهذه الأسطورة، مبيّنة على أرض الواقع أنّ الطّريقة البروليتاريّة، الأمميّة لتحرير الشّعوب المضطهَدة بوصفها الطريقة الصّحيحة والعادلة الوحيدة، هي أمر ممكن وعقلاني، ومبيّنة أن الاتحاد الأخوي للعمال والفلاحين من شعوب متنوّعة، اتحاد مبنيّ على الإرادة الحرّة والأمميّة، هو أمر ممكن وعقلاني. ولا شك أن وجود اتحاد الجمهوريات السّوفييتيّة الاشتراكيّة بوصفه مثالا للاتحاد المستقبلي لعمال جميع البلدان في اقتصاد عالمي واحد يعتبر دليلا مباشرا على ذلك.

ولا حاجة للقول بأن هذه النتائج وغيرها لثورة أكتوبر لم يكن بإمكانها ولم تكن لتبقى دون ممارسة تأثير جديّ على الحركة الثوريّة في البلدان المستعمَرة والتّابعة. إنّ وقائع مثل نموّ الحركة الثّوريّة عند الشّعوب المضطهَدة في الصّين وإندونيسيا والهند، الخ، والتّعاطف المتزايد لتلك الشّعوب مع الاتحاد السّوفيّيتي، هي أدلّة ثابتة. لقد مضى العهد الذّي كانوا يستطيعون فيه استغلال واضطهاد المستعمرات والبلدان التّابعة بكل هدوء، وحلّ محلّه عهد الثّورات التّحررية في المستعمرات والبلدان التّابعة، عهد استفاقة بروليتاريا هذه البلدان وعهد هيمنتها على الثّورة.

3. بزرعها بذرة الثّورة في مراكز الإمبرياليّة ومؤخّرتها على حد سواء، وبإضعافها قوّة الإمبرياليّة في «المتروبولات» وزعزعة هيمنتها في المستعمرات، هدّدت ثورة أكتوبر وجود مجمل الرّأسماليّة العالميّة نفسه.

فلئن تفسّخ التّطوّر العفوي للرّأسماليّة في ظروف الإمبرياليّة - بفعل نسقه غير المتساوي وبفعل النّزاعات والصّدامات المسلّحة، وأخيرا بفعل المجزرة الإمبرياليّة غير المسبوقة – إلى مسار تقيّح الرّأسماليّة واحتضارها، فإنّ ثورة أكتوبر ونتيجتها المتمثّلة في انفصال بلد شاسع عن الرّأسماليّة العالميّة، لا يمكنها إلاّ أنْ تعجّل في هذا المسار عن طريق نسف، خطوة بعد خطوة، ركائز الإمبرياليّة العالميّة نفسها.

أكثر من ذلك. بزعزعتها الإمبرياليّة، خلقت ثورة أكتوبر، في نفس الوقت، في شكل أوّل دكتاتوريّة بروليتاريّة، قاعدة قويّة ومفتوحة للحركة الثوريّة العالميّة لم تكن لها من قبل أبدا، والتّي يمكنها الاعتماد عليها الآن. لقد خلقت مركزا قويّا ومفتوحا للحركة الثوريّة العالميّة لم يكن لها من قبل أبدا، والذّي يمكنها التّجمّع حوله الآن بتنظيم الجبهة الثوريّة الموحّدة للعمال والشّعوب المضطهَدة في جميع البلدان ضدّ الإمبرياليّة.

هذا يعني أولا، أن ثورة أكتوبر قد أصابت الرّأسماليّة العالميّة بجرح قاتل لنْ تشفى منه أبدا. لهذا السّبب بالذّات لن تستعيد الرّأسماليّة أبدا «التّوازن» و«الاستقرار» الذين كانا لها قبل أكتوبر. يمكن للرّأسماليّة أنْ تستقرّ جزئيّا، يمكنها ترشيد إنتاجها، تسليم قيادة البلد للفاشيّة، تحجيم وقمع البروليتاريا مؤقّتا، لكن لن تستعيد أبدا ذلك «الهدوء» وتلك «الثّقة»، ذلك «التّوازن» وذلك «الاستقرار» الذين تتبجح بهما من قبل، لأنّ أزمة الرّأسماليّة العالميّة قد بلغت درجة من الاحتداد بحيث صار من الحتميّ أن تفتح نيران الثّورة طريقا لها تارة في مراكز الإمبرياليّة وتارة أخرى في أطرافها، مقلّصة هامش الترقيع الرّأسمالي إلى الصّفر ومعجّلة انهيار الرّأسماليّة يوما بعد يوم. تماما كما يقال في الحكاية المعروفة: «يخلص الذيل فينغمس المنقار ويخلص المنقار فينغمس الذيل».

هذا يعني ثانيا، أنّ ثورة أكتوبر قد رفعت إلى درجة معيّنة من قوّة وأهميّة الطبقات المضطهَدة في العالم بأسره، ومن شجاعتها وروحها القتاليّة، وأجبرت الطبقات السّائدة على أخذها في الحسبان بوصفها عنصرا جديدا وخطيرا. لم يعد بالإمكان اليوم اعتبار الجماهير الكادحة في العالم «جمهورا أعمى» يتخبّط في الظّلام دون آفاق، لأنّ ثورة أكتوبر خلقت

لها منارة تنير طريقها وتفتح لها آفاقا. إذا لم يكن هناك من قبل قلعة عالميّة مفتوحة لإبراز وتجسيم طموحات الطبقات المظلومة وإرادتها، فاليوم توجد تلك القلعة ممثّلة في أوّل دكتاتوريّة بروليتاريّة. ولا شكّ أنّ تحطيم هذه القلعة سيلقي لمدة طويلة بحياة البلدان «المتقدّمة» الاجتماعية والسّياسيّة في غياهب رجعية سوداء لا حدود لها. لا يمكن إنكار أن مجرد وجود «الدّولة البُلشفيّة» يكبح قوى الرّجعيّة الظلاميّة ويسهّل نضال الطبقات الكادحة من أجل انعتاقها. هذا ما يفسّر عموما الكراهيّة الوحشيّة التّي يكنّها المستغِلّون للبلاشفة في كل البلدان.

إنّ التّاريخ يعيد نفسه وإنْ على قاعدة جديدة؛ فقديما، في عصر انهيار الإقطاع، كان لفظ «يعقوبي» يثير الرّعب والتقزّز عند أرستقراطي جميع البلدان. نفس الشيء الآن، في عصر انهيار الرّأسماليّة، يثير لفظ «بُلشفي» الرّعب والتّقزّز في البلدان البرجوازيّة. وفي الحالة المعاكسة، مثلما كانت باريس ملاذا ومدرسة للثّوريّين من ممثلي البرجوازيّة الصّاعدة، أصبحت موسكو الآن ملاذا ومدرسة للثّوريّين من ممثلي البروليتاريا الصّاعدة. ومن المعروف أنّ الكراهية التّي كانت تكنّها الإقطاعيّة لليعاقبة لم تنقذ الإقطاعيّين من الغرق، وهل يمكننا الشكّ في أنّ الكراهيّة التّي تكنّها الرّأسماليّة للبلاشفة لن تنقذ الرّأسماليّة من الدّمار المؤكّد. لقد ولى عهد «استقرار» الرّأسماليّة حاملا معه أسطورة رسوخ النّظام البرجوازي، وأتى عهد انهيار الرّأسماليّة.

4. ثورة أكتوبر ليست ثورة في ميدان العلاقات الاقتصاديّة والسّياسيّة والاجتماعيّة فحسب، بل هي كذلك ثورة في الأفكار، ثورة في إيديولوجيا البروليتاريا. لقد نشأت ثورة أكتوبر وقويت تحت راية الماركسيّة، تحت راية دكتاتوريّة البروليتاريا، تحت راية اللينينيّة التّي هي ماركسيّة عصر الإمبرياليّة والثّورات البروليتاريّة. لذلك هي علامة على انتصار الماركسيّة على الإصلاحيّة، انتصار اللينينيّة على الاشتراكية الدّيمقراطيّة، انتصار الأمميّة الثّالثة على الأمميّة الثّانية.

لقد حفرت ثورة أكتوبر هوّة عميقة بين الماركسيّة والاشتراكيّة الدّيمقراطيّة، بين سياسة اللينينيّة وسياسة الاشتراكية الدّيمقراطيّة. فيما مضى، قبل انتصار دكتاتوريّة البروليتاريا، كان يمكن للاشتراكية الدّيمقراطيّة أنْ تتشدّق براية الماركسيّة وألا تنكر بصورة مكشوفة فكرة

دكتاتوريّة البروليتاريا، ولكن أيضا، دون أن تفعل شيئا على الإطلاق من أجل تحقيق هذه الفكرة، ولم يكن هذا السّلوك من جانب الاشتراكية الدّيمقراطيّة يشكل أي تهديد للرّأسماليّة.

الآن وبعد انتصار دكتاتوريّة البروليتاريا وبعد أن شاهد الجميع بأعينهم إلى ما يمكن أن تؤدي إليه الماركسيّة، لم تعد الاشتراكية الدّيمقراطيّة قادرة على التبجّح براية الماركسيّة، لم يعد بإمكانها إعلان فكرة دكتاتوريّة البروليتاريا دون أن تخلق خطرا جديّا على الرّأسماليّة. بعد قطيعتها منذ زمن طويل مع روح الماركسيّة، أجبرت الآن على القطع مع راية الماركسيّة. لقد اتخذت موقفا معاديا بوضوح ضدّ ثورة أكتوبر، وليدة الماركسيّة، ضدّ أوّل دكتاتوريّة بروليتاريّة في العالم. لذلك كان عليها أن تتخلّى عن الماركسيّة وقد تخلّت عنها بالفعل، لأنّه في الظّروف الحاليّة لا يمكن للمرء أنْ يسمّي نفسه ماركسيّا دون أنْ يساند بصورة مكشوفة ودون تحفّظ أوّل دكتاتوريّة بروليتاريّة في العالم، دون ممارسة النضال الثّوري ضدّ برجوازيته بالذّات ودون خلق الشّروط الضّروريّة لانتصار دكتاتوريّة البروليتاريا في بلده بالذّات. لقد نشأت هوّة عميقة بين الاشتراكية الدّيمقراطيّة والماركسيّة. بعد الآن، الممثّل الوحيد للماركسيّة وقلعتها الوحيدة هي اللينينيّة، هي الشّيوعيّة. لكنّ الأمور لم تقف عند هذا الحدّ؛ فبعد رسمها خط التّمايز بين الاشتراكية الدّيمقراطيّة والماركسيّة ذهبت ثورة أكتوبر إلى أبعد من ذلك برميها الاشتراكية الدّيمقراطيّة في معسكر المدافعين المباشرين عن الرّأسماليّة ضدّ الدّكتاتوريّة البروليتاريّة الأولى في العالم. عندما ينعت السّادة أدلر وباور، ولز ولفي، لونغي وبلوم «النّظام السّوفيّيتي» بأقذع النعوت مادحين «الدّيمقراطيّة البرلمانيّة»، فإنهم يريدون أن يظهروا بذلك أنهم يناضلون وسيواصلون النضال من أجل إعادة النظام الرّأسمالي إلى الاتحاد السّوفيّيتي ومن أجل الحفاظ على العبودية الرّأسماليّة في الدّول «المتحضرة».

تُعتبر الاشتراكية الدّيمقراطيّة اليوم سند الرّأسماليّة الإيديولوجي. لقد كان لينين على حقّ ألف مرّة عندما كان يقول أنّ السّاسة الاشتراكيين الدّيمقراطيّين هم في أيّامنا «عملاء حقيقيون للبرجوازيّة في الحركة العماليّة، الخدم العماليّون لطبقة الرّأسماليّين» وأنّهم سيصطفّون، حتما، «في الحرب الأهليّة بين البروليتاريا والبرجوازيّة إلى جانب الفرساليين ضدّ رجال الكومونة». لا يمكن القضاء على الإمبرياليّة دون القضاء على الاشتراكية الدّيمقراطيّة في الحركة العماليّة، لذلك فإنّ عهد احتضار الرّأسماليّة هو في نفس الوقت عهد احتضار الاشتراكية الدّيمقراطيّة في الحركة العماليّة. ويتمثّل مغزى ثورة أكتوبر الكبير، إضافة إلى أمور

أخرى، في كونها أعلنت الانتصار اللينينيّة المؤكّد على الاشتراكية الدّيمقراطيّة في الحركة العماليّة. لقد انتهى عهد سيطرة الأمميّة الثّانيّة والاشتراكية الدّيمقراطيّة في الحركة العماليّة وحلّ عهد سيطرة اللينينيّة والأمميّة الثّالثة.

نشر لأوّل مرّة في:

الحقيقة، عدد 255، 6 و7 تشرين الثّاني 1927.

نشرت هذه التّرجمة لأوّل مرّة في:

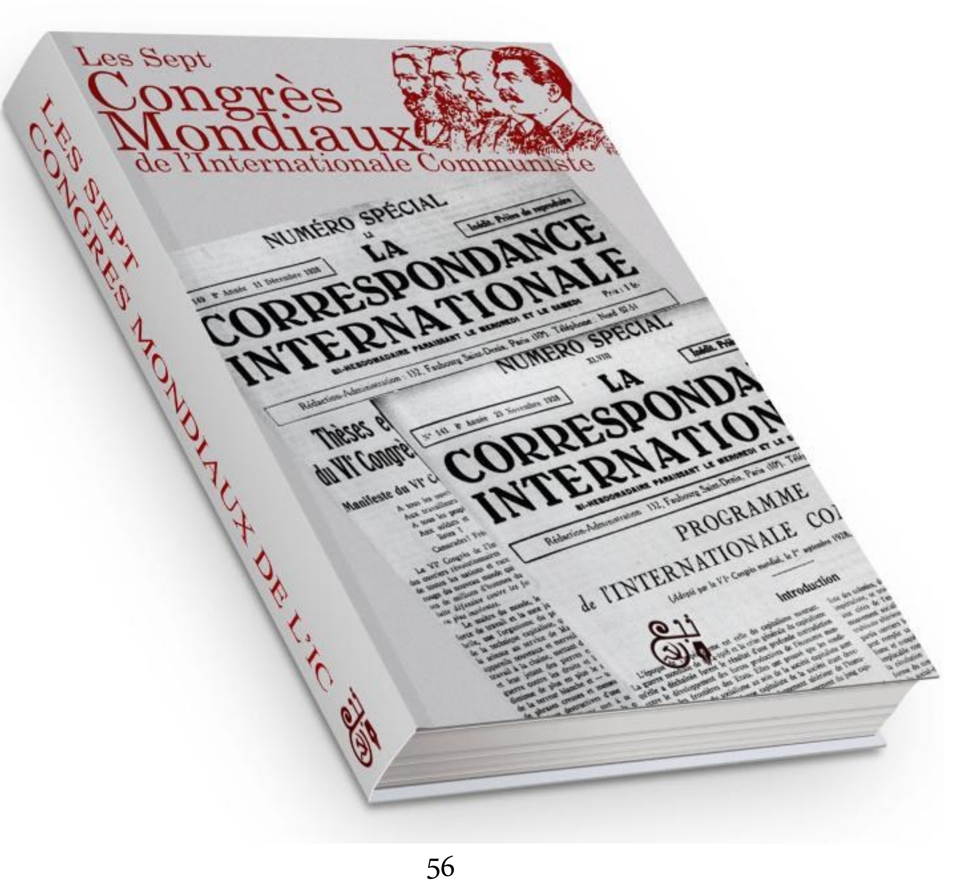
الحوار المتمدّن، في 15 تشرين الثّاني 2011.



المحتويات


رئاسة تنفيذية الأممية الشيوعية
أمريكا اللاتينية


المؤتمر الشيوعي العالمي السادس
أطروحات
الحركة
الثورية
في المستعمرات وأشباه المستعمرات


Les Sept
Congrès
Mondiaux
de l'Internationale Communiste
LES SEPT CONGRÈS MONDIAUX DE L'IC
NUMÉRO SPÉCIAL
LA CORRESPONDANCE INTERNATIONALE
NUMÉRO SPÉCIAL
LA CORRESPONDA
INTERNATION
PROGRAMME
de l'INTERNATIONALE CO
Introduction